وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

مجال الجذع المشترك سنة أولى ليسانس

محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع

إعداد الأستاذة حفيظي سليمة

السنة الجامعية: 2024/2023

المحور الأول: نشأة وتطور علم الاجتماع

01- تعريف علم الاجتماع

علم الاجتماع هو واحد من العلوم الاجتماعية (الاقتصاد، السياسة، علم النفس، علم الإنسان...) الذي انفصل عن العلم الأم "الفلسفة"، محاولا أن يجد له موضوعا ومنهجا للدراسة أساسه فهم سلوك الفرد في إطار المجتمع وتحليل الظواهر الاجتماعية، إلا أن الملاحظ على العلماء والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية لم يقدموا لنا تعريفا موحدا لعلم الاجتماع ، لذا سنحاول في هذا المقام تقديم مجموعة من التعريفات أهمها:

أول من استخدم مصطلح السوسيولوجيا (SOCIOLOGY) كان أوجيست كونت سنة 1839 في الفقرة 47 من مؤلفه محاضرات "الفلسفة الوضعية"، وسماه في البداية "**الفيزياء الاجتماعية**" وذلك ليقدم علما جديدا موضوعه دراسة الوقائع المجتمعية باعتبارها تشكل واقعا متميزا له قوانينه الخاصة كما هي الحال بالنسبة للوقائع الفيزيائية أو البيولوجية. (Dortier et Cabin, 2000, 17)

وقد أطلق عليه في بداية الأمر تسمية **(الفيزياء الاجتماعية)** محاولا بذلك أن يجد له مكانا ومكانة بين العلوم الطبيعية وعلوم المادة.

أما "ماكس فيبر" فعرفه بأنه **"علم يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر بذلك أسبابه في تتابعه وتأثراته"** ، و(الفعل) هنا سلوك إنساني سواء كان فعلا خارجيا أو داخليا، تخليا أو قبولا...يجب أن يكون الفعل الاجتماعي ذلك الفعل الذي يتبع في معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه سلوك أفراد آخرين ويتوجه في تتابعه حسب ذلك. (فيبر، 2011، 28-29)

ونجد "إميل دوركايم" يعرفه بأنه علم يدرس **"الظواهر الاجتماعية"**، حيث انفرد بتحديد خصائص الظاهرة الاجتماعية كأساس للبحث الاجتماعي مستندا في منهجه على الناحية الوظيفية التي تحفظ النظام الاجتماعي واستقراره.(الطفيلي، 2007، 12)

وهناك مجموعة من العلماء والمفكرين المعاصرين قدموا محاولات لتعريف علم الاجتماع نوجزها في الآتي:

يذهب **"جيمس فاندرزاندن"** أن ما يميز علم الاجتماع هو كونه علم يدرس **"التفاعل الإنساني "** الذي يتجلى في التأثير المتبادل الذي يمارسه الأفراد في علاقاتهم المتبادلة، التأثير في المشاعر والاتجاهات والأفعال، كما يهتم علماء الاجتماع بالطرق المتواترة التي يكون الناس علاقاتهم من خلالها، والتي تنموا وتتطور من خلالها أيضا أشكال الروابط الاجتماعية المختلفة، كما يعنون أيضا بأساليب المحافظة على استمرار هذه العلاقات والروابط أو تغيرها وحلها.

أما "**ماكجي وزملاؤه**" فيتبنون تعريفا لعلم الاجتماع مؤداه أنه العلم "**الذي يدرس النظام الاجتماعي**" ، حيث يشير تصور النظام الاجتماعي إلى ذلك النمط المنظم الذي يجري وفقا له الشؤون الإنسانية بدءًا من علاقات التعاون البسيطة كأن يعاونك شخص غريب ويقدم لك المساعدة، حتى الجماعات المنظمة التي تتحدث لغة مشتركة وتتشارك نفس الموقف السياسي لأجيال وربما قرون، والنظام الاجتماعي يمتد في معناه أكثر ليشمل القواعد السلوكية والقوانين التي يتعلمها ويكتسبها الناس من خلال المشاركة الاجتماعية.

وتقدم "لوسيل دبرمان وكلايتون هارتيجن" تعريفا آخر لعلم الاجتماع مؤداه أنه "**علم يدرس السلوك الإنساني**" ، وعلى خلاف العلوم الاجتماعية الأخرى فهو يعنى بكافة جوانب السلوك الإنساني في وضع اجتماعي معين، فعلماء الاجتماع يدرسون الطرق التي تتكون المجتمعات من خلالها والأساليب التي يتصرف الأفراد في إطار البنيات الاجتماعية المختلفة، إنهم يحاولون أن يفهموا كيف تتحدد الجماعات الإنسانية معا وتتكامل، وكيف تنفصل وتتباعد، ولماذا وتحت أي ظروف يكون التكامل أو الانفصال، كما يهتمون ببعض التغيرات التي تطرأ على المجتمعات الإنسانية ودرجة تقبل أو استيعاب أو رفض ومقاومة هذه التغيرات ". (عودة، 18)

02- ظروف نشأة علم الاجتماع

لقد سبق المفكر العربي "عبد الرحمان ابن خلدون" العالم "أوجيست كونت" إلى التأسيس وتطوير علم الاجتماع في العالم العربي بأربعة قرون، حينما كان يصدر أعدادا من كتب في التاريخ، وأدرك أنه لا بد من منهج يبين الصدق من الكذب من الأخبار التاريخية، ومن ثمة عكف على مناقشة طبائع العمران البشري وقوانين التجمع الإنساني في مقدمته الشهيرة، حيث عالج فيها أغلب القضايا والمشكلات الاجتماعية التي تعالج اليوم في علم الاجتماع وسماه "**علم العمران البشري**"، إلا أن أعمال ابن خلدون لم يكتب لها الاتصال أو الاستمرارية ذلك أنه قد واكب سقوط الحضارة العربية الإسلامية وصعود الحضارة الغربية، يضاف إلى ذلك الحواجز اللغوية والثقافية التي أخرت تعرف المفكرين الغربيين على أعمال ابن خلدون وأعماله، ولذلك فإن نشأة علم الاجتماع في الغرب كانت مستقلة عن نشأته في الشرق، لذا ينسب علم الاجتماع في نشأته إلى "أوجيست كونت"، كما كان مرتبطا أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي بكافة اتجاهاته وفروعه. (عودة، 71)

برز علم الاجتماع إلى الوجود بوصفه فرعا من فروع العلم والمعرفة بداية القرن التاسع عشر، الذي تميز بتحولات عميقة خاصة في أوربا، خاصة التحولات السياسية المتمثلة في "**الثورة الفرنسية**" سنة (1789)، التي أفضت إلى انهيار النظام القديم الذي سيطرت فيه الكنيسة على العقول والسياسة وكل شؤون المجتمع، فقد عملت الثورة الفرنسية بمناداتها إلى المساواة القانونية بين المواطنين على مراجعة أسس النظام السياسي، فهذا الأمر لم يعد من إرادة الأمير وحده.

أما التحولات الاقتصادية والاجتماعية فكانت مرتبطة بالثورة الصناعية التي كانت نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هي أصيلة بريطانيا العظمى، التي انتشرت تدريجيا إلى بلدان الأوروبية الأخرى ثم الولايات المتحدة واليابان.

لقد تميزت هذه الفترة بالانتقال من المجتمع الريفي إلى الحضري، وهو ما أدى إلى انقلاب عميق في البنيات الاجتماعية التي كانت قائمة آنذاك، مثل التضامن القروي ومجموعة العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية، حيث يشير "فرديناند تونيس" إلى التعارض بين نمطين للتنظيم الاجتماعي، الأول يهيمن عليه الروابط التقليدية، العاطفة وروح الجماعة يرتكز أساسا على الأسرة وعلى التضامن المحلي، بينما الثاني يستند أكثر على المصلحة الفردية، الحساب والعلاقات غير الشخصية ويحاول أن يفرض نفسه داخل المجتمع الصناعي. (ريتور، 2015، 18)

لقد بدأ التحول الكبير في تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية بعد ميلاد القرن التاسع عشر، الذي تم فيه استخدام المناهج العلمية لاستقراء السلوك والظواهر الاجتماعية، فالمنهج العلمي وحده الكفيل بالإجابة على التساؤلات المطروحة مستندا على حقائق تم جمعها بواسطة البحث المنظم، لقد نتج عن هذا الأسلوب الجديد في البحث علم هام يدعى "علم الاجتماع" وبالانجليزية "Sociology". (العزوي وآخرون، 2006، 16)

03- التطورات الأساسية لنشأة علم الاجتماع

يمكن أن نصنف ظروف نشأة علم الاجتماع إلى ثلاث تطورات أساسية ترتبط ببعضها البعض ارتباطا وثيقا ومتبادلا تفاعلت وتبادلت التأثير والتأثر على طول التاريخ الأوروبي، ممتدة من انهيار المجتمع الإقطاعي القديم وصولا إلى المجتمع البرجوازي الحديث، وهذه التطورات هي:

أ- التطورات الاجتماعية والاقتصادية:

تتمثل هذه التطورات التي مهدت لنشأة علم الاجتماع في قيام المجتمع الصناعي الرأسمالي على أنقاض المجتمع الإقطاعي القديم، حيث ظهر مع هذا الانتقال تغيرات أفرزت ظواهر ومشكلات اجتماعية يمكن أن نلخص هذه التغيرات في:

- ظهور المدينة الصناعية، التي حلت مكان القرية والتي كانت قلب المجتمع الإقطاعي، فبعد انفجار الثورة الصناعية حدث الانقلاب الصناعي وظهرت المصانع الحديثة وفرص العمل الهائلة وتحولت المدن إلى مراكز جذب للقوى العاملة من الريف.
- فتزايدت تبعا لذلك معدلات الهجرة من الريف إلى المدن، مما أدى إلى ظهور الطبقية في المدن نتيجة تواجد فئة تملك المصانع والمؤسسات ورأس المال ، وفئة أخرى تبيع قوة عملها للأولى حتى تحسن من ظروف عيشها، وهكذا نشب التوتر والقلق والصراع بين الفئتين أو الطبقتين.

- ظهور مشكلات المدينة الصناعية المتمثلة في الفقر، الازدحام، المناطق المتخلفة...الخ

هنا أصبح على الفكر الاجتماعي ضرورة دراسة مثل هذه المشكلات تشخيصا وتحليلا ومحاولة إيجاد الحلول .

ب- التطورات الفكرية والفلسفية:

صاحب التطورات الاجتماعية والاقتصادية سابقة الذكر تطورات فكرية وفلسفية، حيث أن المجتمع الصناعي البرجوازي الجديد أصبح يستخدم أساليب فكرية وفلسفية يسوغ من خلالها لمكانته واستمراريته، بدأت بنشوء المذهب البروستانتي في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر وهذا ما يعرف بعصر التنوير الذي تحررت فيه العقول من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، وهنا يمكن أن نبرز دور فلسفة التنوير في القضاء على المجتمع القديم والتمهيد للمجتمع الجديد في النقاط التالية:

- عقلانية الإنسان وقدرته على الوعي بمصالحه وتوجيه التاريخ والمجتمع لصالحه.
- انتصار الإنسان على النظم الاجتماعية التي كانت تكبله للوصول إلى العصر الذهبي.
- مشروعية النقد بمعيار العقل وليس هناك من المقدسات التي تحول دون ذلك.
- مشروعية الثورة والتغيير، فطالما تحرر العقل بالنقد والتمحيص فمن حقه الثورة على أوضاعه الاجتماعية التي يراها غير منطقية أو غير عقلانية.

ت- التطورات السياسية:

انطلقت التطورات السياسية من فرنسا متمثلة في "الثورة الفرنسية" التي كانت أول ثورة إيديولوجية في التاريخ، أساسها مقولات فلسفة التنوير والثورة على النظم الاجتماعية التي تخلفت عن النظام الإقطاعي القديم، ومن الطبيعي أن تظهر الكثير من المشكلات في معمعة الهدم والبناء الاجتماعي هذه، بحيث تطلب هذا المعالجة والتفسير ، مما جعل البعض يذهب إلى أن "أوجيست كونت" مؤسس علم الاجتماع الغربي في فرنسا كانت مهمته في هذا العلم الجديد إصلاح الأوضاع الاجتماعية التي أفسدتها الثورة، أو إعادة البناء الاجتماعي على أساس البحث العلمي والتفكير الوضعي البعيد عن الحماس الثوري المندفع.

04- أهداف علم الاجتماع:

إن استخدام علم الاجتماع المنهج العلمي في دراسة المجتمع جاء من أجل دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية مثلها مثل الظواهر الطبيعية ، لذا فإن هذا العلم في دراساته المتعددة يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف عكف المؤسسون ومازال المعاصرون يجتهدون في سبيل بلوغها، وهي: (عبد الجواد، 26-27)

أ- دراسة الحقائق والظواهر،للوقوف على عناصرها ومما تتكون، ولمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية ، والدعائم التي ترتكز عليها.

ب- دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية ، والتطورات التي مرت بها على مر العصور والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وساعدت عليه، لأن الظواهر الاجتماعية متطورة ومتغيرة بتغير الزمان والمكان.

ت- دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية وتطور هذه الوظائف مع الزمان، واختلافاتها من مكان إلى آخر، إذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة، فظاهرة الزواج مثلا تنظم العلاقة بين الرجال والنساء ، التكاثر ،...الخ، ووظيفة السياسة تنظيم العلاقة بين الفرد والدولة وبين الدول فيما بينها وهكذا.

ث- البحث في العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة، والتعرف على مدى التفاعل الذي يحدث بين الأفراد بعضهم، وبن الجماعات وبعضها، وعلاقات بين الظواهر وبعضها...الخ.

ج- دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الإنسانية وظروف البيئة الطبيعية والجغرافية.

ح- يهدف علم الاجتماع أخيرا إلى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية سواء في أصلها أو نشأتها أو تغيرها وتطورها أو تأثيراتها المتبادلة ، وهذا ما يضفي على علم الاجتماع الموضوعية والعلمية.

05- علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى

إن الدارس للعلوم الاجتماعية يدرك جيدا أنه لا توجد حدود فاصلة فيما بينها، كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية والعلوم الدقيقة، فهناك تشابك فيما بينها بدرجات متفاوتة من جهة، وبينها استخدامات من جهة أخرى ، تساهم من قريب أو بعيد في فهم المجتمع في نشأته وتطوره والتغيرات التي يعرفها عبر الزمان والمكان، لدرجة أنه لا يمكن الفصل بينما هو اقتصادي أو سياسي أو سيكولوجي وحتى أنثربولوجي وفلسفي.

أ- علاقة علم الاجتماع بالفلسفة:

نشأ علم الاجتماع في الربع الأول من القرن التاسع عشر في أوروبا في معترك الصراع بين تيارات فلسفية متعارضة ، سبقت وواكبت انهيار النظام الاجتماعي القديم (الإقطاعي) وصعود النظام الاجتماعي الجديد (الرأسمالي)، تيارات فلسفية انطلقت من منطق التنوير كالفلسفات النقدية ، أو تلك المضادة كالتيار الفلسفي الرومانسي المحافظ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن علم الاجتماع له صلة وثيقة بالفلسفات الأخلاقية والسياسية منذ مرحلة النشأة.

ورغم ذلك فهناك نقاط اختلاف بينهما نذكر:

- في أهداف كل علم ، فالفلسفة تسعى إلى بلوغ ما تتصوره من حقائق نهائية أو مطلقة للأشياء والظواهر والكون والحضارة وحتى القيم الإنسانية النهائية المطلقة والوجود ككل، أما العلم فهدفه محدد

بالحقائق النسبية ولا يسلم بوجود حقائق مطلقة أو علل نهائية، كما سؤال الفيلسوف طموح وسؤال العالم متواضع .

- في طرق الوصول إلى هذه الأهداف، فالفلسفة تفترض تصورات أو تعميمات قبلية تتشكل في ذهن الفيلسوف يتجه إلى تطبيقها في الملموس على حد تعبير البعض بناءا على منطق التفكير الفلسفي الذي يبدأ من الكليات إلى الجزئيات، أما العلم فيؤمن بالخبرة الموضوعية التي تستند إلى الملاحظة ورصدها بمختلف أساليب القياس الدقيقة منطلقا من مسلمات المنطق العلمي الذي يتميز بالوجود الموضوعي بشكل مستقل عن تصوراتنا الذاتية، لذا فإن المعرف العلمية تبدأ من الجزئيات لتصل إلى التعميمات.

ب- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس:

من الصعوبة بمكان الفصل بشكل أو بآخر بين علم النفس وعلم الاجتماع صعوبة الفصل بين الفرد والمجتمع، وعلى الرغم من أن علم النفس يدرس الفرد بوصفه شخصية أو كيانا سيكولوجيا متميزا، بينما علم الاجتماع يدرس الجماعات والمجتمعات والنظم الاجتماعية التاريخية ، فالأفراد بوصفهم فاعلين نشطين في حركة التاريخ هم الذين يخلقون النظم الاجتماعية والحضارات.

إلا أن هناك من يحاول إبراز اهتمامات كل علم على حدا، فعلم النفس يهتم بالعالم الداخلي للفرد أي العمليات العقلية والنفسية التي تجري داخل الفرد كالإدراك، التذكر، التخيل، الانفعال بالإضافة إلى المظاهر المرضية لهذه العمليات، أما علم الاجتماع فإنه يهتم أساسا بالعالم الخارجي للفرد أي علاقته بالآخرين وتفاعله معهم وعلاقاته بالجماعات والنظم الاجتماعية والثقافية.

ومع ذلك فإن علاقة علم النفس وعلم الاجتماع علاقة وثيقة، والتقارب بين العلمين يتضح في فرع "**علم النفس الاجتماعي**" الذي يُعنى بدراسة كيفية تأثير السلوك والشخصية والبيئة الاجتماعية، إذ لا يمكن فهم السلوك إلا في سياقه الاجتماعي، أما الحقيقة الاجتماعية فتعزى في كثير الأحيان إلى البعد النفسي.

ت- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ:

التاريخ علم يدرس الأحداث الإنسانية الغير متكررة المرتبطة بزمان معين ومكان معين، بينما علم الاجتماع فيدرس الأنماط المتكررة القابلة للتكرار من الأحداث الإنسانية مع أنهما قد يتناولان الموضوع ذاته، إلا أنهما يختلفان في الهدف وزاوية الدراسة، فالثورة مثلا بوصفها تغيرا اجتماعيا نوعيا يمكن أن تكون موضوعا مشتركا للبحث بين علم الاجتماع والتاريخ، لكن علم الاجتماع يهتم بها بوصفها ظاهرة اجتماعية متكررة وقابلة للتكرار بصرف النظر عن مكان ما وزمان ما وثورة بعينها، أنه يدرس ثورات متفرقة حدثت في أماكن متفرقة وأزمنة مختلفة ليس بهدف اكتشاف النمط المشترك بين الثورات جميعا وذلك لكي يصل إلى تعميم حول "الدوافع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية للثورة بوصفها فعلا إنسانيا"، أما المؤرخ يرصد كل الثورة بملابساتها وأحداثها

ونمطها الفريد وشخصياتها البارزة، لكي يسجل الثورة كحدث إنساني فريد غير متكرر أو أسلوب بأسلوب آخر أنه يهتم بالثورة الفرنسية بوصفها ثورة فرنسية والثورة الروسية بوصفها ثورة روسية ...الخ. (عودة، 36)

أما من جهة الاستفادة بين العلمين، فيقدم علم الاجتماع للمؤرخ الرؤية الاجتماعية التي يستطيع من خلالها أن يرى الأحداث والأخبار في سياقها الاجتماعي الطبيعي، كما أنه يقدم له أيضا المفهومات والمقولات والأدوات المنهجية، كمفهوم القوة الاجتماعية أو القوى والسلطة والطبقة والفئة والتغير والاستقرار والصراع وغير ذلك من المقولات التي يستخدمها المؤرخ ذو البصيرة الاجتماعية في رصده للأحداث وتحليلها.

ومن ناحية أخرى فإن عالم الاجتماع ذا الحس التاريخي وذا الرؤية التاريخية أي الذي يفهم المجتمع بوصفه ظاهرة تاريخية، وهو المنطلق الصحيح لدراسة المجتمع ودراسة أي ظاهرة اجتماعية جزئية (على خلاف الاتجاهات الوضعية والوظيفية) يعتمد اعتمادا أساسيا على المادة التاريخية، وهي نتاج عمل المؤرخ ذاته، المرتبطة بالظاهرة الاجتماعية قد تشكلت في سياق تاريخي، أو هي ظاهرة تاريخية أيضا، فلا مفر من الرجوع إلى جذورها التاريخية حتى يمكن فهمها في سياقها الحقيقي أيضا ويبرز ذلك الاعتماد بصورة ملموسة في أعمال الرواد العظام لعلم الاجتماع. (عودة، 38)

ث- علاقة علم الاجتماع بالسياسة:

لقد ركز علم السياسة تقليديا على مجالين هامين وهما النظرية السياسية التي تُعنى بدراسة الآراء المتعلقة بالحكومة والأشكال الحقيقية للحكومة، أما المجال الثاني فهو الإدارة الحكومية التي تعنى بالوصف الشامل لبناء الهيئات الحكومية ووظائفها مع تأكيد خاص على ترابط الاثنين معا.(الغزوى وآخرون، 2006، 34)

وقد أدرك علماء الاجتماع أن الدراسة المستقلة بالنظام السياسي لن تعطي تصورا نظريا واضحا ومتكاملا، ولابد من إدراك العلاقة بين النظام السياسي والأنظمة الاجتماعية الأخرى التي يتكون منها المجتمع، ومن هنا ظهر علم مستقل يربط العلمين معا وهو **"علم الاجتماع السياسي"**، هذا التخصص الذي يهتم بتحليل السلوك السياسي والأنظمة السياسية ودراسة التفاعل الاجتماعي الذي تتضمنها إجراءات الحكومة في ضوء البناء الاجتماعي والثقافة السائدة في المجتمع. (الغزوي وآخرون، 2006، 35)

ولعل أوجه استفادة علم السياسة من علم الاجتماع متعددة، كفهم مواضيع التصويت في الانتخابات ، المشاركة السياسية، المواطنة، الأنظمة السياسية والمشكلات السياسية...الخ، و ذلك لصعوبة فهمه وتحليله خارج إطاره الاجتماعي .

ج- علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد:

يهدف علم الاقتصاد إلى "دراسة الإنتاج والتوزيع وحجم الاستهلاك والخدمات"، كما يهتم الاقتصاديون بدراسة الأسعار والضرائب والعوامل المؤثرة فيها ، ويعد علم الاقتصاد أكثر العلوم الاجتماعية تقدما لأنه في الغالب يقيس مواضيعه ببساطة أكثر من العلوم الأخرى، حيث طور الاقتصاديون أدوات رياضية معقدة لبحوثهم وتفسيراتهم وتنبؤاتهم.(الغزوي وآخرون، 2006، 33)

إلا أن الاقتصاد هو جزء من المجتمع فالسلع والخدمات لا تنتج ولا تسوق ولا تستهلك بنفسها ، هذه المجالات الاجتماعية للحياة الاقتصادية هي موضوع تخصص يجمع بين الاقتصاد والمجتمع وهو علم اجتماع الاقتصادي ، الذي يعنى بدراسة النواحي الاجتماعية للحياة والممارسات الاقتصادية ، ويقدم صورة واضحة للعلاقات المتبادلة بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية التي تؤثر فيها وترتبط معها في سياق الحياة الاجتماعية، فكثير من علماء الاجتماع اهتموا بالحياة الاقتصادية ، "كإميل دوركايم" الذي درس تقسيم العمل والتماسك العضوي للمجتمع، و"ماكس فيبر" الذي قدم لنا مؤلفا كاملا حول البروستانتية والرأسمالية كنظام اقتصادي.

المحور الثاني: موضوعات علم الاجتماع وفروعه

01- موضوعات علم الاجتماع

من الصعوبة بمكان أن نحدد موضوعا بعينه لعلم الاجتماع، ذلك أن المجتمع تتشابك مكوناته وعلاقاته وتفاعلاته وتطورات نظمه وغيرها من الجوانب التي تشكل المجتمع في بنيته وتطوره وتغيره، وهذا ما تأكد لنا من خلال عدم اتفاق علماء الاجتماع المؤسسين والمعاصرين على تحديد موضوع أو اثنين لهذا العلم، وعليه سنحاول الإلمام بأهم الموضوعات التي شكلت مجالا للبحث والدراسات في علم الاجتماع كالتالي:

1-1 المجتمع كموضوع لعلم الاجتماع:

يتخذ علم الاجتماع المجتمع وحدة للتحليل له ككيان كلي، فيصبح دوره هنا الكشف عن الصلات التي تربط النظم الاجتماعية التي تكون المجتمع في ظل الأنساق الاجتماعية المختلفة، ويمكن أن تتضمن مثل هذه الدراسات للمجتمع قسمين رئيسيين على الأقل، يختص **الأول بالتباين الداخلي بين المجتمعات المختلفة، والثاني يتناول كافة المجتمعات كمجموعات إنسانية تتميز ببعض السمات الخارجية المحددة**، وفي هذه الحالة نجد علم الاجتماع يطرح تساؤلات مثل هل هناك شواهد على أنماط معينة من المجتمعات كالإمبراطوريات الكبرى مثلا يمكن أن تستمر فترة من الزمن؟ هل تمر المجتمعات بمراحل تطور معينة؟ وقد ساد هذا النمط من التفكير والتحليل الاجتماعي من منظور تطوري لفترة معينة من تاريخ الفكر الاجتماعي، فابن خلدون أشار إلى تطور المجتمعات من (مجتمعات بدوية) إلى مجتمعات (حضرية)، أما أوجيست كونت فدرس تطور المجتمعات من (مجتمعات بدائية إلى مجتمعات لاهوتية إلى مجتمعات وضعية)، في حين ناقش إيميل دوركايم تطور المجتمعات من (مجتمعات تقليدية إلى مجتمعات معاصرة)

أما اليوم فنجد تركيز الدراسات الاجتماعية يتجه نحو **البناء الداخلي للمجتمع**، وهذا من خلال طرح تساؤلات جديدة مثل ما هي المشكلات الداخلية التي يتحتم على كل مجتمع أن يواجهها؟ ما هي أكثر مكونات المجتمع شيوعا؟ كيف تحدد المجتمعات مسؤولية أداء الوظائف؟ ما هي النتائج التي تترتب على ارتباط بعض النظم الاجتماعية ببعضها؟ ومثال ذلك إلى أي مدى يتفق النمط الصناعي من الحياة الاقتصادية مع نمط الأسرة الممتدة؟ (أنجلز، 54)

2-1 النظم الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع:

تعتبر النظم الاجتماعية من أهم موضوعات علم الاجتماع، فهي حسب "**عبد الرازق جلبي**" إحدى أنماط التنظيم الاجتماعي للمجتمع، فهي بمثابة الأنساق الكبرى المنظمة للتفاعل الإنساني الذي هو قاعدة العلاقات

الاجتماعية ، وأنواع التفاعل الموجه لغرض معين من الأغراض التي توجه حاجات الإنسان الأساسية ويتفرع عنها بأسماء محددة تكشف عن طبيعة النشاط الاجتماعي وحدوده. **(جلبي، 2000، 79)**

يجدر بنا هنا أن نقدم تعريفا للنظم الاجتماعية ، فهي في الواقع جملة الأحكام والقوانين الاجتماعية والأعراف قد تكون مدونة أو متعارف عليها تعمل بشكل واضح على تحديد سلوكيات وأخلاقيات الأفراد، وترسم أنماط علاقاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية، كما أنها تساهم بوضع ايديولوجية المجتمع وترسيخ أسس نظامه على المستوى الكلي أو الفرعي وتحدد أنماط العلاقات بين أفراد المجتمع ذاته. **(الغزوي وآخرون، 2006، 209)**

يرى البعض أن النظم الاجتماعية كالأسرة ، المدرسة، الحزب السياسي تشكل موضوعا أكثر تميز لعلم الاجتماع، على أساس أن المجتمع ككل يتشكل من مجموع هذه النظم الاجتماعية ، إذ نجد "**هربرت سبنسر**" ينظر للنظم الاجتماعية على أنها الأصول التي تؤدي وظائف المجتمع، وقد نمت عن التقاليد والعادات الشعبية ، وكل نظام يحتوي على معايير وعادات وتوقعات تنتقل إلى الأجيال التالية في شكل خبرات تتراكم وتؤدي إلى وجود نماذج مقننة من النظم الاجتماعية التي تقوم بوظائف مختلفة في المجتمع كنسق اجتماعي. **(عبد الهادي، 2009، 129)**

وقد حدد "**أليكس أنجلز**" النظم الاجتماعية الأساسية في: نظام الأسرة والقرابة، النظام الاقتصادي، النظام السياسي والقانوني، النظام الديني، النظام التربوي والعلمي، النظام الترويحي والرفاهية والنظام الجماعي والتعبيري. (أنجلز، 50)

ونوجز هنا مضامين بعض النظم الاجتماعية الأساسية:

أ- النظام الأسري:

النظام الأسري لدى الكثير من الباحثين من أهم النظم الاجتماعية، ذلك أن الإنسان يبدأ حياته الاجتماعية بالأسرة، لأنها تشكل أهم خلية تستطيع أن تلبي للإنسان أهم احتياجاته البيولوجية والإنسانية ، ولهذا هي بحق النواة الأولى للمجتمع الإنساني؛

تعرف الأسرة على أنها مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات الدم والزواج وتجمعهم في مسكن واحد، مع تحديد مكانات وأدوار كل فرد فيها وتوضيح لأهم وظائفها وهي المحافظة على النوع الإنساني.**(عفيفي، 2011، 60)**

ونجد الأسرة قد أخذت عبر تاريخ التطور ا إنساني شكلين أساسين، الأول **نموذج الأسرة الممتدة** والثاني **نموذج الأسرة النواة**،بالنسبة للأول فيتشكل من الزوج وزوجته وأبنائهما والجد والجدة وبعض أفراد العائلة كالعم والعمة وحتى الزوجات في بعض الأحيان يعيشون ويتفاعلون معا في مكان واحد، أما الشكل الثاني فيتكون من زوج وزوجة وأبنائهما فقط يعيشون في منزل واحد.

للأسرة وظائف أساسية هي: الوظيفة الجنسية، وظيفة الإنجاب، وظيفة التنشئة الاجتماعية والوظيفة الاقتصادية .

ب- النظام السياسي:

إن الصراع حقيقة أساسية وجدت ومازالت منذ بدأ الخليقة متجذرة في الطبيعة البشرية، وعليه فإن التضاد والتنازع قائم تبعا لذلك، وعليه فإن المجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة أو سلطة تفرض على الأفراد الانصياع لها، ومثل هذا الرأي نجده عند العلامة "ابن خلدون" حيث يقول:"إن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزرع بعضهم عن بعض".

ومفهوم النظام السياسي يقصد به توزيع القوة والسلطة والنفوذ داخل المجتمع والطرق التي يتم تنظيم التوزيع والسيطرة عليه بواسطتها، ويعتبر ظهور السلطة السياسية المتمثلة في الدولة ظاهرة اجتماعية حديثة النشوء نسبيا إذ ظهرت بظهور المدينة والمدنية ونتيجة زيادة حجم المجتمع وتعقد بنائه وعلاقاته.

ولعل وظيفة الدولة الأساسية كتنظيم اجتماعي هي توفير الأمن والحماية من الأخطار الخارجية والداخلية، وتتمتع بامتلاك القوة المسلحة والعديد من الأجهزة التي تساعدها على ذلك، وممارسة الردع بغرض تحقيق أهداف وأمن واستقرار المجتمع ، وتمارس ذلك من خلال سن التشريعات والدساتير.

ت- النظام الاقتصادي:

يشير مفهوم النظام الاقتصادي إلى الإجراءات والتدابير المنظمة التي تتم بموجبها عمليات إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها من قبل أفراد المجتمع وضمن إطار اجتماعي محدد.

كما يعرف على أنه مجموعة القواعد ونمط الضوابط التي يتبعها المجتمع في استخدام موارده لتحقيق غاياته وفي تحديد الأولويات واتخاذ القرارات الخاصة بالسلع الاقتصادية.

وتعتبر الأفكار الاقتصادية "ابن خلدون" في مقدمته إسهاما حقيقيا في فهم الأمور والحوادث الاقتصادية من منظور اجتماعي– التي يتناولها علم الاجتماع الاقتصادي- ، كما يقوم النظام الاقتصادي في نظره على مجموعة من العناصر البنائية هي: (جلبي، 2000، 82)

- **العمل الإنساني** : ذلك أن قيم الأشياء تنبع من حيث الأساس في العمل الذي يبذل لإنتاجها والكسب هو قيمة الأعمال البشرية .
- **قيم العمل والثروة**: القصد من العمل هو تحصيل أو الحصول على الذهب والفضة...وهنا نجد ابن خلدون قد أدرك العلاقة بين قيمة العمل وثروة الأمم، فهذه الثروة من معدن نفيس كالذهب والفضة يكون العمل موجها أساسا نحو اقتناءها.

- **قيم العمل والعرض والطلب:**العمل يتبع قانون العرض والطلب خاصة في المدن التي ترتفع فيها قيمة العمل لكثرة الحاجة للترف، واعتزاز أهل الترف بخدمتهم وكثرة المترفين وحاجاتهم مما يجعل الصناع والعمال وأهل الحرف تغلوا أعمالهم.

ث- النظام الديني:

النظام الديني من النظم الأساسية في الحياة الاجتماعية سواء كان المجتمع بدائيا أم متحضرا، ويعتبر الدين أهم هذه النظم حيث يركز على علاقة الخالق بالمخلوق ، والاختلاف الذي وقع بين الدين وغيره من جوانب الحياة الاجتماعية يتعلق بالمعتقدات والتطبيقات نحو معبودات لا يخضع وجودها للملاحظة.

التفكير الديني عند الإنسان - بغض النظر عن نوع هذا التفكير- يسعى للبحث عن اليقين في الطبيعة وينشد فهم أسباب وجود الإنسان ومعرفة الحياة الغامضة بالنسبة له وما يحيط به ، فقد تأثر الإنسان بظروف الحياة الاجتماعية والطبيعية وخضع لعدد من الرموز وأضفى عليها صفة القداسة وأخذ يتبرك لها كي يرضيها وتحميه من أخطار الطبيعة وشرور بني جنسه ولأنها مصدر رزقه؛

ويعرف النظام الدين على أنه " يمثل مجموعة من الظواهر العقائدية والعبادات التي تعطي معنى للحياة البشرية وتعمل على تنظيم السلوك الإنساني حيال العالم الفوقي فالعقيدة يشترك فيها جماعة من الأفراد الذين يكونون وحدة متماسكة.

وقد خضع النظام الديني منذ بدء الخليقة غلى مراحل تطورية على النحو التالي:

- المرحلة الوثنية(عبادة الأصنام).
- مرحلة تقديس مظاهر الطبيعة (الميتافيزيقيات).
- مرحلة تأثير الأديان السماوية (غير الإسلامية).
- مرحلة التوحيد (الدين الإسلامي).

وعليه فإن الدين يمارس وظائف متعددة على الصعيد الفردي والاجتماعي أهمها:

- يعطي الفرد الشعور والإحساس بالأمن والطمأنينة والاستقرار.
- يحدد للفرد هويته وانتماءه للجماعة من خلال قبول القيم والمعتقدات وممارسة الشعائر .
- يوفر عامل ضبط النفس و تنظيم العلاقات الاجتماعية التي تشكل البناء الاجتماعي.

ج- النظام التربوي:

يعرف النظام التربوي على أنه مجموعة مترابطة مع بعضها البعض من القواعد والتنظيمات والإجراءات التي تنتهجها دولة ما لتوجيه أمور التعليم وتسيير شؤونها سعياً إلى الارتقاء بالقيم والمبادئ العامة للأمة بما

يتماشى مع السياسات التربوية لتعكس الفلسفة بمختلف أشكالها الفكرية، الاجتماعية والسياسية في دولة معينة.

حيث يهدف **النظام التربوي** إلى صقل شخصية الفرد والجماعة في آن واحد لتحقيق التنشئة الاجتماعية الناجحة، سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة، وبالتالي فإنّها تحقق للفرد إمكانية التأقلم مع ما يحيط به من بيئة اجتماعية، كما يهدف إلى إكساب الفرد المهارات الأساسية بالاعتماد على مناهجه وآلياته المستخدمة في المجال المدرسي، ويأتي ذلك في إطار السعي لإمداد الطلبة بالإمكانية التامة على أداء المهارات التي تنفعهم في ممارسة الأنشطة في مختلف مجالات الحياة، كما يحرص النظام التربوي دائماً إلى الارتقاء بمستويات التعليم وتحسين جودتها بالاعتماد على سلسلة من الإجراءات المتبعة والمرتبطة بالمناهج الدراسية المعطاة للتلاميذ، ويعمل على تفعيل الدور التربوي بشكلٍ جدّي بواسطة التجديدات التربوية والإصلاحات المستحدثة بين فترة وأخرى، كما تُضفي التكنولوجيا تحسيناً ملموساً على نوعية التعليم عند الاستعانة بها.

ويمكن أن نلخص **وظائف النظام التربوي** في الآتي: (https://mawdoo3.com)

- يساهم النظام التربوي في تحقيق النمو والاستمرار في الحفاظ على شخصيته وذاته من خلال قيامه بالربط المستمر بين سمات ثقافته المحلية والوافدة دون إحداث أي انحلال أو تغير أو ذوبان أي منهما في الآخر، فتزداد أبعاد التفاعل والتكيف مع الحفاظ على معالم الشخصية المحلية.
- يلعب النظام التربوي دوراً فعالاً في تنظيم الحياة الاجتماعية، إذ يوفر متطلبات الأفراد في المجتمعات من استقرار وأمن من خلال محاربة المشكلات الاجتماعية قبل استفحالها في ثناياه.
- يُلبي كافة حاجات المجتمع الاقتصادية، وخاصة الأيدي العاملة المدربة، والتكنولوجيا الحديثة والرقمنة.

3-1 العلاقات الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع

تعتبر النظم الاجتماعية أنساقا معقدة من العلاقات الاجتماعية ، فالأسرة مثلا نظام اجتماعي يتكون من شبكة علاقات متعددة، منها العلاقات بين الزوج وزوجته، العلاقات بين الأبوين وأطفالهما، العلاقات بين الإخوة وحتى تلك العلاقات بين الجدين وأحفادهما، فكل هذه العلاقات نستطيع دراستها وتتبع بعض الجوانب المشتركة فيها، كالخصائص المتعلقة بحجم الجماعة التي تتم فيها، نوع العلاقة كالسيطرة أو الخضوع...الخ.

وهنا يمكن أن **نعرف** العلاقات الاجتماعية بأنها: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع، ومن صور هذه العلاقات الصداقة، الروابط الأسرية، القرابة، الزمالة في العمل...الخ.

ولعل "ماكس فيبر" قد التزم التزاما جادا بالفكرة التي مؤداها أن علم الاجتماع يقوم بالأساس على دراسة العلاقات والأفعال الاجتماعية، كما وضع مجموعة من المقولات لوصفها وتحليلها، كما كانت جزءا كبيرا من

كتابات "جورج زيمل" و "تالكوت بارسونز" وأخذت حيزا واسعا في البحوث الأمبريقية على نطاق واسع حديثا فقط، تركزت في الأساس في دراسة الجماعات الصغيرة وفي البحوث الصناعية.(أنجلز، 56)

ويمكن **تصنيف العلاقات الاجتماعية** إلى:

أ- علاقات اجتماعية أولية وأخرى ثانوية.

ب- علاقات اجتماعية طويلة الأجل وأخرى مؤقتة.

ت- العلاقات الاجتماعية المباشرة والغير مباشرة.

ث- العلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية.

ج- العلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية

ح- العلاقات الأفقية والرأسية.

4-1 العمليات الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع:

أينما وجدت الجماعات الإنسانية فأفرادها لا يعيشون بمعزل عن بعضهم البعض، فهم يتصلون ببعضهم بوسائل متعددة مما يجعلهم يؤثرون ويتأثرون ببعضهم، ومن ذلك تنشأ بينهم العلاقات التفاعلية التي تجعلهم وحدة متكاملة، والعلاقات الاجتماعية توجد بين الأفراد عندما يأخذ كل واحد من الفاعلين باعتباره أفعال الآخرين في توجيه سلوكهم ، وبالتالي يكون هذا التوجيه متبادلا فتسود العلاقات وتستمر.

ومن أهم العمليات الاجتماعية نذكر:

أ- الامتثال:

يعني أن تفعل ما يتعين عليك أن تفعله، كأن يؤدي التلميذ واجباته، أو يقف سائق السيارة عند مفترق الطرق حتى تسمح له إشارة المرور أو الشرطي بمواصلة السير، في هذه الأمثلة وغيرها نجد أن الوضع صريح ومحدد تحديدا دقيقا في القواعد التي تحكمه، فضلا عن القوة التي تكفل تدعيم الامتثال ، وهنا نجد علماء الاجتماع ينطلقون من قضية نعرفها ونقبلها جميعا وهي الامتثال للدور الاجتماعي وأداء المهام المرتبطة به ويعتمد كذلك على الجزاءات.(أنجلز، 152)

ب- الانحراف:

ينشأ الانحراف عند الابتعاد عن المعايير المقبولة اجتماعيا عن فعل يحمل المجتمع نحوه مشاعر قوية إلى الحد الذي يجعله يتبنى جزاءات معينة لكي يمنع أو يتحكم في السلوك المنحرف، فزيادة السرعة على الطريق

العام مخالفة للقانون تعتبر انحرافا، وقد درس علماء الاجتماع بالو.م.أ كثيرا مشكلات الجريمة وجنوح الأحداث، البغاء، الإدمان بوصفها انحرافات اجتماعية مخالفة للمعايير.

ت- التعاون:

التعاون يحتاج فيها الفرد إلى شخص آخر يساعده في إنجاز العمل أو ليكون العمل أكثر اتقانا، فالتعاون علاقة يعمل فيها إثنان أو أكثر لتحقيق هدف معين.، وفي الغالب يكون الطرفان غير متساويان وبينهما فوارق، والتعاون أنواع فهناك التعاون التلقائي أو العفوي، التعاون التقليدي، التعاون الموجه والتعاون الاتفاقي أو التعاقدي .

ث- المنافسة:

هناك تشابه بين التعاون والمنافسة في كون الطرفان يتطلعان لتحقيق هدف مشترك، إلا أن عملية المنافسة تقضي بأن يصل أحد الطرفان إلى الهدف قبل الآخر ليكون هناك فائز في الأخير، والمنافسة ليست نقيض التعاون إلا أنها تشمل بعض درجات التعاون، لأنه على المتنافسين أن يتعاونوا معا في اللعب بمقتضى القوانين التي تحكم اللعبة كما هو الحال في كرة القدم، التنافس بين الطلاب لبلوغ المرتبة الأولى.

ج- الصراع:

في عملية المنافسة يحاول المتنافسون أن يحققوا الهدف نفسه تبعا للقوانين المقبولة، فالمتنافسون يركزون على الفوز دون إيذاء الطرف الآخر، وعندما لا يحترم المتنافسون ذلك ينقلب التنافس إلى صراع، وهنا يصبح الصراع عملية قهر وتدمير الطرف الآخر لبلوغ الغايات، وقد وجد الصراع في جميع الأنظمة الاجتماعية، بين الإدارة والعمال، بين المجرمين والشرطة، بين الزملاء...الخ، ويعد الصراع عملية هدامة داخل البناء الاجتماعي.

02- فروع علم اجتماع

بعد أن استقل علم الاجتماع عن الفلسفة وصار له موضوعاته واتسعت أفاقه، رأى علماء الاجتماع أن يكون بداخل العلم فروعا يهتم كل منها بجانب محدد من جوانب الحياة الاجتماعية ، فأصبح هناك علم اجتماع العام مع عدد من العلوم الاجتماعية التي شكلت فروعا لهذا العلم ، لذا سنحاول في هذا العنصر الإلمام بأهم فروع علم الاجتماع .

1-2 علم اجتماع السياسي:

يدرس علم اجتماع السياسي الظاهرة السياسية في حضن المجتمع، ويبين مختلف التأثيرات التي يمارسها المجتمع بالفعل السياسي، ثم تفسير الظواهر السياسية في ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية والحضارية. (حمداوي، 2015، 16)

يستند علم اجتماع السياسي إلى عدة مواضيع سياسية لها علاقة بالمجتمع تأثيرا وتأثرا، مثل موضوع القوة، السلطة، الدولة، التطرف، العنف، الثورة، الإرهاب، التنشئة السياسية، العولمة، الديمقراطية، النخبة، المشاركة السياسية، التنمية السياسية، الإديولوجيات، جماعات الضغط، النقابات، الدساتير، طبيعة نظام الحكم، الانتخابات...الخ.

ولعل أهم القضايا التي يهتم بها علم اجتماع السياسي نجد "**النظم السياسية**" ودراستها من وجهة نظر سوسيولوجية، كالأنظمة الديمقراطية، الدكتاتورية، الملكية، الجمهورية،...الخ.

كما يهتم بتبيان علاقة النظام السياسي بالبنية الاجتماعية والاقتصادية، واستقراء المشاركة السياسية من خلال التنظيمات والنظم المختلفة لهذه المشاركة، ثم التعرض للتغير السياسي من جهة والصراع السياسي من جهة أخرى.

2-2 علم اجتماع الإداري:

هو فرع يدرس الأنظمة الإدارية التي ترتكز عليها الدولة أو الحكومة أو السلطة التنفيذية أو الوظيفة العمومية في أدائها لخدمتها ومشاريعها وإنجازاتها وإصدار القرارات ، ومن هنا فإن علم اجتماع الإدارة يدرس الإدارة باعتبارها فضاءا يشتمل مجموع الموظفين والمديرين ورؤساء الإدارة الذين تجمعهم علاقات وظيفية مختلفة ضمن نسق تراتبي بيروقراطي أو ديمقراطي، وكل ذلك في ضوء رؤية سوسيولوجية بالتركيز على بنية الإدارة واختصاصاتها ووظائفها ودورها في المجتمع من جهة ، ودراسة الموظفين وعلاقتهم بالإدارة والمجتمع من جهة ثانية ودراسة السلطة والقوة الإدارية من جهة ثالثة.

من أهم القضايا التي يتناولها علم اجتماع الإدارة بالدراسة نجد: الإدارة، الوظيفة العمومية، البيروقراطية، النخب الإدارية، الإدارة المركزية واللامركزية، السلطة الإدارية، التقسيم الإداري، اتخاذ القرارات، الحكامة، الصراع الإداري ، الخدمات الإدارية ...الخ.

3-2 علم اجتماع الاقتصادي:

يُعنى علم اجتماع الاقتصادي بدراسة الظواهر الاقتصادية في ضوء المقاربة الاقتصادية بفهم أشكال الاقتصاد وتفسيرها، فهو علم يدرس الأنشطة الاقتصادية من إنتاج وتوزيع وتبادل واستهلاك ، إذن السوسيولوجيا الاقتصادية هي دراسة النظام الاقتصادي في مختلف بنياته وأشكاله وأنساقه وأنشطته، ودوراته، ووظائفه وعلاقاته مع التركيز على الأفعال الاقتصادية العقلانية والهادفة في سياقاتها المجتمعية.

حيث يعرفه "**سميلسر**" في كتابه (**سوسيولوجيا الحياة الاقتصادية**) بأنه العلم الذي يقوم على تطبيق الإطار المرجعي لعلم الاجتماع ونماذجه التفسيرية لدراسة وتحليل الأنشطة الاقتصادية الحديثة التي تعالج عمليات الإنتاج، التوزيع، التبادل، الاستهلاك للسلع والخدمات النادرة. **(حمداوي، 2015، 57)**

وعليه يمكن القول بأن الظواهر الاقتصادية تتخذ طابعا اجتماعيا كونها ترتبط برغبات الأفراد وحاجاتهم وحوافزهم وأنشطتهم، إضافة إلى أن الاقتصاد دائما كان في خدمة المجتمع وتماسكه وانسجامه كما وكيفا.

بالإضافة إلى كل ما سبق يمكن أن نشير إلى بعض المواضيع التي يدرسها علم اجتماع الاقتصادي مثل: الرأسمال الاقتصادي، العمل والاستثمار، التنافس الاقتصادي، التبعية ، العولمة الاقتصادية، الأزمات الاقتصادية، علاقة الاقتصاد بالمشاكل الاجتماعية ، التنمية الاقتصادية المستدامة، الثورة الرقمية ، أثر الضرائب على الاقتصاد والمجتمع، النمو الديمغرافي وعلاقته بالإنتاج الغذائي والزراعي،...الخ

4-2 علم اجتماع التربوي:

تُعد الظواهر المتعلقة بالتربية والتعليم والمؤسسات التعليمية وعلاقتها بالمجتمع مجال الدراسة في علم اجتماع التربوي، وهذا يعني أن المدرسة تعكس جيدا محيطها الاجتماعي بشكل مباشر وغير مباشر، وهنا يمكن نقدم تعريف "أحمد أوزي" لسوسيولوجيا التربية بقوله (علم اجتماع التربوي يقوم بدراسة أشكال الأنشطة التربوية للمؤسسات كأنشطة المدرسين و التلاميذ والإداريين داخل المؤسسات المدرسية، كما يقوم بوصف طبيعة الأنشطة التي تتم بين المدرسة والمؤسسات الأخرى، كالأسرة والمسجد والنادي، كما يهتم بالشروط الاقتصادية والطبيعية التي تعيش فيها هذه المؤسسات وشروط وجودها وتعاملها). **(حمداوي، 2015، 104)**

وتجدر الإشارة هنا أن المدرسة ليست الموضوع الوحيد لهذا العلم، بل يتجاوزه لدراسة العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسات التربوية، ودراسة المؤسسات التي تقوم بوظيفة التنشئة التربوية والاجتماعية، وربط التكوين بوظيفته الاجتماعية والاقتصادية والاديولوجية، وتبيان دور الأنظمة التربوية في التغير الاجتماعي؛

كما يهتم علم اجتماع التربوي بدراسة العلاقة بين الظواهر المدرسية والأسرة والسياسة والاقتصاد، ويكشف لنا التغلغل الاجتماعي والسياسي في المنظومة التربوية، هذه الأخيرة التي طالما خضعت للتوجهات السياسية والاديولوجية، وتهدف هذه السوسيولوجيا إلى التقليل من مسؤولية الأفراد وخاصة في مجال الفشل الدراسي، لتحمل المجتمع وبنياته ذلك، وفي ذات الوقت تشدد على دور المدرسة في تغير المجتمع وتحقيق التنمية البشرية المستدامة، والتأهيل الاقتصادي وتطوير المجتمع وتحقيق التقدم والازدهار، وتحقيق الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية والقضاء على الأمية، ومن هنا أصبح التعليم مشروعا مجتمعيا كبيرا في مجال التنافس لاسيما في عصر العولمة والثورة المعلوماتية والرقمية.

المحور الثالث: رواد علم الاجتماع

01- أولا: إبن خلدون (1332- 1406 م)

أ- نشأته وأهم مؤلفاته:

هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ولد في تونس وشب فيها وتخرّج من جامعة الزيتونة، درس العلوم الشرعية واللسانية والمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية شغل أعلى المناصب فكان كاتب السر وخط المظالم ووزيرا وحاجبا وسفيرا ومدرسا وقاضيا وخطيبا والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس، ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان برقوق قضاء المالكية، ثم استقال من منصبه وتوجه إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي، ومن أشهرها كتاب **(العبرودیوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) في** سبع مجلدات أولها الكتاب المشهور**"المقدمة"**، وعرض فيه أحوال البشر وطبائعهم والمؤثرات التي تميز سلوكاتهم، توفي وعمر ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة، تاركاً تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم.

ب- تأسيسه لعلم العمران البشري:

ويعني **"علم العمران البشري"** الذي جاء به **"ابن خلدون"** الاجتماع الإنساني وظاهرته، وهو يصوغ موضوع هذا العلم من خلال قوله **أن الاجتماع الإنساني ضروري**، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بطبع، أي لابد من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى **العمران**.(عبد المعطي، 1981، 55)

يقول **"ابن خلدون"** أن ما سيكتب فيه شيء مستقل بذاته فإنه **ذو موضوع** وهو **العمران البشري** والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي: بيان ما يلحقه من **العوارض والأحوال الذاتية واحدة بعد أخرى**، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أم عقليا، وإن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غزير الفائدة عثر عليه البحث وأدى إليه الغوص...وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة. (عبد الجواد، 11)

ت- ضرورة الاجتماع الإنساني:

حيث يرى "ابن خلدون" أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحقيق حاجاته، ومن ثمة فتحصيل الحاجات يعد حجر الزاوية في الاجتماع الإنساني وضرورته، ويضيف أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه، وأن الناس متعاونون جميعا في عمرانهم، ومعنى هذا أن الحاجة والعمل مقولتان أساسيتان للوجود الإنساني وبدونهما يستحيل وجود مجتمع بشري.

ث- تغير العمران حقيقة أساسية:

فأحوال العالم والأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وأوضحه "ابن خلدون" في التغير الذي طرأ على العمران البشري من **المجتمع البدوي** إلى **المجتمع**

الحضري، حيث يعتبر **البدو هم سكان الصحراء الذين يعيشون حياة متنقلة، ويعتمدون في مصدر رزقهم على تربية الماشية**، وحضارة البدو هي حضارة عربية في أصلها،أما **الحضر من الناس فهم سكان الحضر هم قاطنوا المدن** ، ويقتصر **البدو** في معيشتهم وأحوالهم **على الضروري**، فهم عاجزون على ما هو أكثر من ذلك، في حين يعتني أهل **الحضر** بحيازة **الرفاهيات والكماليات في الأحوال والعوائد**، ومن هنا فإن الحضري لا يتوق إلى حياة البادية إلّا لحاجة أو ضرورة تدعو إلى ذلك، كما يعتبر البدو أصلٌ للحضر.

ج- العصبية عند ابن خلدون:

أو **العُصبة** التي يقصدها " ابن خلدون" لا تعني مطلق الجماعة وإنما الأفراد **الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي** ، وتبقى مستمرة ومتفرعة بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تناسلهم ، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة والمدافعة وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داع للتعصب ، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عُصبته ، وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تذوب في شخصية الجماعة ، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبة فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد والمجموعة ، وليس بين فرد وآخر فقط ، وفي حال تعرض العصبة إلى عدوان فيظهر في هذه الحالة "الوعي" بالعصبية ، وهذا " الوعي العصبي" هو الذي يشد أفراد العصبة إلى بعضهم وهو ما يسميه **ابن خلدون** " بالعصبية " التي بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يُجتمع عليه، حيث تشتد وتقوى هذه الرابطة بين سكان البدو وتفتر بل وتتلاشى عند سكان الحضر.

ح- الحضارة والدولة:

عرّف ابن خلدون **الحضارة** بأنّها "**تفنّن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله**"، كما إنّه عرّفها ضمن الإطار الاجتماعي والتاريخي بأنّها الوصول إلى **قمّة العمران والتطوّر الثقافي والشخصي للمجتمع والدخول للرقي الاجتماعي الثابت**، فالحضارة بوجهة نظره هي نهاية العمران، بيد أنّ "**ابن خلدون**" تأثّر في ثقافة عصره وألفاظها التي تختلف عنها الآن، وقد يكون غير دقيق أحياناً في المصطلحات والمفاهيم ويبرز ذلك عنده في لفظ "**الحضارة**" حين يستعمل لفظ "**دولة**" **بمعنى الحضارة**، بيد أنّ ذلك عائد للمصطلحات واختلافها بين العصور فهو لم يتوقع أن تتطوّر اللغة وتختلف من عصر لآخر، ومع ذلك يُعتبر **ابن خلدون** أوّل من استخدم مصطلح الحضارة بمفهومه القريب من معناه حديثاً.

ويؤكد "**ابن خلدون**" أن تأسيس الدولة يسبق دائما تأسيس المدينة، فتكوين الدولة لازمة طبيعية لعمل العصبية، يؤكد حتما إلى العمران الحضري (الحضارة)، فارتقاء شيخ القبيلة وتفوقه على غيره يدلان على انتقال من طريقة إنتاج إلى أخرى تختلف عنها اختلافا كليا، يقول ابن خلدون "أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها، وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن آخره... "، ويكون من الخطأ أن نفكر في أن الانتقال **من العمران البدوي** إلى **العمران الحضري انتقال خطي**

وسريع، وهو صريح جدا بهذا الشأن إذ يقدم لنا سلسلة من أطوار التطور ، وعمر الدولة عنده يضاهي عمر الحضارة والتطور الطويل الأمد لا ينطوي دوما على طابع تدريجي وإيجابي من حيث قوة وازدهار العمران ، إذ **يمكن أن نمثل هذا التطور بمنحنى يتخذ شكل الجرس، فالعمران البدوي يتلاشى تدريجيا خلال الأجيال الثلاثة (جيل البداوة، جيل الحضارة، جيل الترف) التي تمتد حوالي مئة سنة، وحين يصل إلى أعلى نقطة من المنحنى فإنه يكاد يتلاشى تماما ليترك مكانه للعمران الحضري في جميع الميادين**، وتستمر هذه المرحلة إلى نقطة انقلاب الجزء المستقيم من الجرس وحينذاك ، يبدأ تقهقر الحضارة وهو أمر لا مناص منه في نظر ابن خلدون **حين ينصرف الحاكم عن أمور الرعية** ، وهذه الظروف خاصة بشمال إفريقيا كونه يعرف هذه المنطقة حق المعرفة. **(مغربي، 1988، 167-168)**

ج- المنهج عند ابن خلدون:

كان "**ابن خلدون**" مهتما **بالتدوين المنهجي الصحيح والعلمي للأحداث التاريخية**، حيث لاحظ أن المؤرخين يقعون في أخطاء كثيرة نتيجة تعصبهم وجهلهم بالقوانين وعدم الاستناد إلى الشواهد والبراهين في الحقائق التاريخية التي يسردونها ،

أما **ملامح المنهج** عنده فتبرز في تركيزه على **(الباحث)** الذي يجب عليه أن لا يقبل الحقائق إلا بعد التأكد منها، ولا يتأثر بها بل يشكك وينتقد ويصحح وينتقي ويقارن ثم يستنتج؛

كما أكد على أهمية **(منهج المقارنة)** بين ماضي الظاهرة وحاضرها، ذلك أن العمران متطور ومتبدل، وضرورة وصول علم العمران البشري إلى صوغ القوانين التي تحكم العمران لأن ذلك من أساسيات ووظائف العلم، ونجده أيضا يركز على **(الملاحظة العلمية)** خاصة الملاحظة بالمعايشة .

ويمكن أن نفصل في قواعد المنهج العلمي عند "**ابن خلدون**" على النحو الآتي:

- **النقد الباطني**، ويقوم على التحري من مصدر الأخبار وطرق التثبت من صدق المؤلف ومن عدم انخداعه ووقوعه في الخطأ والغلط.
- **الابتعاد عن التشيع والتعصب للآراء والأحكام المرتجلة والقبلية** والالتزام بالجانب الموضوعي في عرض وقائع العمران.
- **موسوعية المعرفة عند المؤرخ**، إذ عليه الإلمام بقواعد السياسة وطبائع العمران والملك وتاريخ الأمم والاقتصاد في كل الأزمان.
- **الشك** في الأخبار وصدق المعلومات التي حصل عليها.
- **المعرفة العقلية التي توصل إلى المعرفة العلمية** وتقطع الشك باليقين.
- **العلية**، فابن خلدون يرى أن لكل حادث محدث وعلاقة تلازم في الحدوث.
- **العمران البشري باعتباره المدخل المنهجي والإطار المعرفي** الذي يتم في ضوئه الوصول إلى القوانين العامة للاجتماع الإنساني.

ثانيا: أوجيست كونت (1798- 1857)

01- نشأته وأهم مؤلفاته

هو فيلسوف فرنسي ولد في مدينة "مونبليه" الفرنسية لوالدان كاثوليكيين، التحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس سنة 1813، وبعد أن أتم دراسته الجامعية شغل وظيفة معيدا في مدرسة الهندسة، ثم عين بعد ذلك سكريترا عند الاشتراكي "**سان سيمون**"، وفي عام 1826 بدأ في إلقاء سلسلة محاضرات عامة حول الفلسفة الوضعية، ثم أصيب بمرض عقلي جعله ينقطع عن تقديم محاضراته ويحاول الانتحار غرقا في "نهر السين"، ثم عاد بين سنتي 1830 و1843 إلى إلقاء محاضراته التي قدم فيها تصوراته للمعرفة والعلوم، التي حاول من خلالها التأسيس لعلمه الجديد الذي أطلق عليه في البداية اسم "الفيزياء الاجتماعية".(**عبد المعطي، 1981، 59**)

ترك "كونت" تراثا فكريا مهما لعل أهم مؤلفاته: محاضرات في الفلسفة الوضعية، نظام في السياسة الوضعية، كما كتب مقالات في الفلك والطبيعة والكيمياء وتعمق في الفلسفة.

02- قانون تطور الفكر الإنساني

يقوم مذهب "أوجيست كونت" على قائمة من المعارف الإنسانية ونظرية عامة للعلوم تنبع أساسا من فلسفته الوضعية، فمن وجهة نظره يمكن تصنيف المعارف الإنسانية إلى ست معارف هي: الرياضيات، الفلك ،الطبيعة، الكيمياء، علم الأحياء وعلم الاجتماع، هذا العلم الجديد الذي وضعه على رأس قائمة المعارف كونه علم يدرس المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية ويسعى إلى الكشف عن القوانين التي تحكمها، وهذا الترتيب من وجهة نظره ليس ترتيبا عقليا فقط، بل هو يساير كذلك تاريخ تطور العلوم. (**بوتول، 72**)

وقد قدم "كونت" نظرية عامة للتطور الفلسفي، تقوم على أساس أن الأفراد ومن ثمة المجتمعات قد مروا في سبيل فهم وتفسير العالم الذي يعيشونه ويحيط بهم بثلاث اتجاهات متعاقبة، شكلت بمفهوم علم الاجتماع المراحل الثلاث لتطور الفكر الاجتماعي ، واصطلح عليها "**كونت**" تسمية (قانون الحالات الثلاث) الذي مضمونه:

- **المرحلة الأولى**: المرحلة اللاهوتية أو الدينية وهناك من يسميها الخرافية، وهي مرحلة فسر فيها الإنسان الظواهر الطبيعية وغيرها من الظواهر في إطار القوى التي تفرضها الأرواح والآلهة، ففي النظم الاجتماعية التي كانت بهذه العقلية كان الاستعلاء الطبقي للجماعات الكنسية.
- **المرحلة الثانية**: المرحلة الميتافيزيقية أو الفلسفية، و هي مرحلة الفكر المجرد التي ترتبط فيها المثل عن الأشياء والمجردات التي توجد في عقول الأفراد بالواقع، وينظر للقوى المجردة باعتبارها قوى كامنة داخل الأشياء نفسها، وإليها يرجع السبب الأول في تفسير مختلف الظواهر.

- **المرحلة الثالثة**: المرحلة الوضعية أو العلمية، وهي المرحلة التي تفسر فيها الظواهر استنادا إلى المبادئ العلمية، المستندة إلى الملاحظة العلمية.

وقد اعتقد كونت أن التصنيع مرتبط **بالمرحلة الوضعية**، والتطور الإنساني في مقابل المرحلة الخرافية التي ترتبط بالعبودية، ويؤدي تطبيق العلم الوضعي على المسائل الإنسانية بالضرورة نحو مجالات السلام والوفرة الاقتصادية وخصوبة الفكر الإنساني، وعليه فإن العلم الوضعي حسب "**كونت**" بالحقائق التي تخضع للمشاهدة والملاحظة في مقابل العلم المعياري أي علم الأخلاق الذي يدرس المعايير ومستويات السلوك.

03- الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية :

قسم "أوجيست كونت" علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين، الأول هو الاستاتيكا الاجتماعية (Social Statics) والثاني سماه الديناميكا الاجتماعية (Social Dynamics).

- **الاستاتيكا الاجتماعية:** هي العلم الذي يختص بدراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها، وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها، وتتجسد في شكل النظم الأساسية والوحدات التنظيمية المركبة للمجتمع، كالاقتصاد، الأسرة والسياسة، ويفهم علم الاجتماع في هذه الحالة على أنه دراسة العلاقات التبادلية بين هذه النظم؛

إذ يقول "كونت" بهذا الصدد "يتمثل الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع في دراسة قوانين الفعل وردود الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي "، ويستطرد قائلا: "إن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها بعض كما لو كان لكل منها وجود مستقل، وعلينا بدلا من هذا أن ننظر إليها على اعتبار أنه تربطهم علاقات متبادلة، وأنها تكون كيانا كليا، يفرض علينا أن نتناولها في علاقاتها ببعضها البعض". **(إنجلز، 1983، 35)**

ومثال ذلك الأسرة كنسق اجتماعي تتطور في مراحل مختلفة، كما أن لها علاقات بالأنساق الأخرى المكونة للبناء الاجتماعي.

- **الديناميكا الاجتماعية**: هذه الأخيرة تُعنى بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية، والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس المجتمع الإنساني في عمومه وكليته ومن ناحية تطوره وانتقاله من حال إلى حال. **(عبد المعطي، 1981، 62)**

ويقول "كونت" بالنسبة لتطور المجتمعات وتغيره عبر الزمن "يجب أن نتذكر أن قوانين الديناميكا الاجتماعية تبدو أكثر إيضاحا عندما ننظر إليها في ضوء المجتمعات الكبيرة" ، ويبدوا أن "كونت" كان يعتقد أنه قد استطاع بذلك حل مشكلة التغير والتطور نهائيا، فقد كان مقتنعا أن جميع المجتمعات قد مرت ببعض مراحل التطور المحددة ، وأنها كانت تتقدم باستمرار نحو مزيد من الكمال، وبرغم أن هذه

الفكرة وجدت الكثير من المعارضين إلا أن ما يهمنا هو أن "كونت " كان يعتبر أن الدراسة المقارنة للمجتمعات بوصفها كيانات كلية تمثل موضوعا رئيسيا من موضوعات التحليل السوسيولوجي، ولعل قانون "الحالات الثلاث" الذي جاء به خير سبيل لفهم التطور والتقدم الاجتماعي.

04- المنهج عند كونت

يرى **"أوجيست كونت"** أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي ، ذلك أن رؤيته لعلم الاجتماع كانت رؤية علمية وضعية، وكان ينبغي على علم الاجتماع في اعتقاده أن يطبق المنهجيات العلمية الصارمة نفسها في المجتمع، كما هو الحال في الأساليب التي تنتهجها الفيزياء والكيمياء في دراسة العالم الطبيعي. **(غدنز، 2005، 62)**

وتتمثل ركائز منهجه في الدراسة والبحث: في **الملاحظة والتجربة** التي تقوم على **منطق المقارنة** بين الظواهر والمجتمعات، وأخيرا التحليل التاريخي المنطلق من دراسة الأفكار وتحليلها كمقدمة أساسية لفهم التطور الاجتماعي، ويجدر هنا القول بأنه برغم كل هذه الركائز فإنه عَد الملاحظة أهمها وأكثرها دقة، لأنها الأكثر اتساقا والفهم العلمي . **(عبد المعطي، 0981، 62)**

حيث اعتمادا على **الملاحظة الحسية** المتأنية يستطيع الإنسان أن يستنتج القوانين التي تفسر العلاقات بين الظواهر الملحوظة، ويستطيع العلماء بعد فهم العلاقات السببية بين الأحداث أن يتكهنوا بما ستكون عليه الأحداث في المستقبل، ومن هنا فإن علم الاجتماع الوضعي يعتقد بأن إنتاج المعرفة عن المجتمع ممكنة إذا ما اعتمدنا على الدلائل التجريبية المستقاة من الملاحظة والمقارنة والتجريب. **(غدنز، 2005، 62)**

وعلى الرغم من هذه الدعوة المنهجية "للأوجيست كونت"، إلا أنه لم يثبت عنه أن طبق التجريب على الظاهرة الاجتماعية، بل نجده اكتفى بعقد مقارنات متحيزة في كثير الأحيان ، كما أن الملاحظة الحسية كسبيل للمعرفة العلمية التي ركز عليها في منهجه، كانت في الغالب متأثرة بذاتية الباحثين وأهوائهم .

ثالثا: إيميل دوركايم (1858- 1917)

01- نشأته وأهم مؤلفاته:

ولد "إيميل دوركايم" في (إبينال) باللورين وهي مقاطعة فرنسية، لأب من الحاخامات اليهودية، الذي أراد لابنه أن يسير على نهج الأسرة بأن يصبح رجل دين، وقد أراد الابن لنفسه ذلك أيضا فدرس العبرية وقرأ كتاب العهد القديم والتلمود، و في الوقت نفسه درس العلمانية وسار في التعليم الحكومي، تم قبوله بالمدرسة العليا للأساتذة سنة 1879، وتأثر بالعديد من المفكرين الفرنسيين لعل أهمهم "فوستل دي كولانج"، وبعد تخرجه سنة 1882 اشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية، ثم أتيح له الذهاب إلى ألمانيا في إجازة علمية، فتأثر بفلاسفة عصر التنوير واعتبر "سان سيمون" أستاذه في علم الاجتماع.

ويعتبر "إيميل دوكايم" المفكر الذي دعا إلى الابتعاد عن الدراسات **العامة والشاملة** في علم الاجتماع، والتوجه نحو **التخصص** ويكون موضوعه العمليات والنظم الاجتماعية، فقد حدد في (**مجلة الحولية الاجتماعية**) والتي كانت أول مجلة سوسيولوجية متخصصة أقسام علم الاجتماع الرئيسية كالتالي:

علم الاجتماع العام، علم اجتماع الديني، علم اجتماع القانوني والأخلاقي، علم اجتماع الجنائي، علم اجتماع الاقتصادي، الديمغرافيا وعلم اجتماع الجمالي.(إنكلز، 39)

من أهم مؤلفاته: **تقسيم العمل الاجتماعي** (1893)، **قواعد المنهج في علم الاجتماع** (1895)، **الانتحار**(1897)، **الأشكال الأولية للحياة الدينية** (1912).

02- تصور المجتمع عند دوركايم:

لخص "دوركايم" تصوراته لعلم الاجتماع وللمجتمع في أن العامل الفعال الوحيد الذي يؤثر في المجتمع هو البيئة الاجتماعية أو البيئة الإنسانية، وحينئذ على عالم الاجتماع أن يبذل مجهوده الرئيسي في الكشف عن خواص هذه البيئة التي تستطيع التأثير في تطور الظاهرة الاجتماعية، وأشار إلى أن **كثافة المجتمع وتقسيم العمل والاتصال بمجتمعات أخرى** هي عوامل بارزة في التطور والتغير الاجتماعي، ويتبين لنا أنه يعتبر الواقع المادي والموضوعي ليس فقط الواقع الاقتصادي، بل تابعا للأفكار والتصورات أو بصفة عامة **للوعي الجمعي** المتمثل في وجود قيم مشتركة بين الأفراد، يمثل موضوع **تقسيم العمل** أهم إنجاز قدمه "إيميل دوركايم" في علم الاجتماع، الذي كان موضوع أطروحته في الدكتوراه؛

وقد أوضح "دوركايم" تطور المجتمعات من **مجتمعات بدائية** إلى **مجتمعات معاصرة** حسب نوع **التضامن الاجتماعي** السائد بين أفرادها، فالتضامن السائد بين المجتمعات البدائية هو(**تضامن آلي**) يتميز **بالبساطة** والسذاجة أحيانا وضيق الاختلافات والفوارق بين الأفراد فهم متشابهون إلى درجة كبيرة ويتمسكون بنفس القيم ويتفقون على نفس الأشياء حتى المقدس منها، بعبارة أخرى هم متجانسون ولا يخضعون لتقسيم العمل، في حين التضامن الذي تعرفه المجتمعات المعاصرة هو (**تضامن عضوي**)، الذي يتميز بالتعقيد وله مميزات في الوظائف ويخضع لمعيار مبدأ تقسيم العمل، وتقدر فيه توزيع الوظائف على الجماعات والأفراد إلى تميزه **بزيادة التخصص**، وهذا النوع من التضامن يشكل عنصرا أساسيا في الحياة الاجتماعية ويسود عموما داخل الوسط الاجتماعي الذي يطغى عليه سلطة القانون، بمعنى أن حياة الناس تتجه إلى التنظيم الرسمي وتساير صلاحيات السلطات بين مختلف الأدوار الاجتماعية في مفهوم التنظيم وتدرجه.

ولعل صفة "**العضوي**" التي أطلقها على نوع التضامن في المجتمعات المعاصرة جاءت كتبرير وتوضيح المسألة البيولوجية، مثلها مثل أجزاء الكائن الحي، فأعضاء هذا الأخير متمايزة لكنها ضرورية ولا غنى عنها للجسم بالتساوي فلكل وظيفته، وعليه كان "دوركايم" الأب الروحي للاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع.

03- أساسيات المنهج العلمي عند دوركايم:

تقوم الطريقة العلمية عند دوركايم على ركيزتين أساسيتين هما: الملاحظة والتفسير.

أ- **الملاحظة:** يرى "دوركايم" أنه يجب النظر للظواهر الاجتماعية على أنها أشياء في مواجهة الفكرة، معنى ذلك أن معرفتنا بالشيء إنما من الخارج من عالم الموضوع، في حين الفكرة تأتي من الداخل أي من عالم الذات، أي أن نسلك حيالها مسلكا عقليا خالصا **بإتباع الخطوات** التالية:

- التخلي عن الأفكار المسبقة التي نملكها حول الظاهرة وانطلاقا من كوننا لا نعرف شيئا عن جوهرها ونجهل تماما خصائصها.
- الانطلاق من الخواص الخارجية إلى الداخلية للظاهرة.
- الاعتماد على الإحصاء كتدبير يساعد على تخليص الظاهرة الاجتماعية من اختلاطها بغيرها، وبغية ملاحظتها في حالة نقائها وصفائها.

ولو طبقنا قواعد الملاحظة العلمية التي قدمها "دوركايم" لوجدنا الفئة الوحيدة من الظواهر الاجتماعية التي تلائمها هي فئة القوانين والتشريعات، فهي خارجة عن الفرد وموجودة ومستقلة ومصدر رئيس في الحياة الاجتماعية.

ب- **التفسير:** ينبغي حسب "دوركايم" تفسير ما هو اجتماعي بالاجتماعي، وليس بالنفسي أو البيولوجي، ويعني هذا تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء وظيفتها الاجتماعية

وأخيرا يتحدد مسعاه العلمي في **الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية**، وذلك لهدف اجتماعي هو علاج المشكلات الاجتماعية، حتى نصل بالمجتمع إلى التضامن الاجتماعي المنشود، وتقسيم العمل الوظيفي الفعال، وإلا فما الفائدة العملية لعلم الاجتماع إن لم يبلغ ذلك؟

04-الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم:

الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع عند "دوركايم" كان "**الظاهرة الاجتماعية** "، واتخذ من **المماثلة العضوية** بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية أساسا للتحليل والتفسير، حيث عرف "دوركايم " الظاهرة الاجتماعية بأنها: **أنّها ضرب من السلوك المختلفة سواء كانت ثابتة أم متغيرة والتي من شأنها أن تسبب القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم في المجتمع بأكمله وتكون خصائص هذا السلوك مختلفة في حال تشكله بحالة فردية عنه في الحالة الجماعية**". (إبراهيم، 2006، 96)

وقد حدد لها مجموعة من **الخصائص المميزة** أهمها: (عبد الجواد، 19)

- **تلقائية:** بمعنى أن الفرد ليس بصانعها لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد، فنحن نولد ونجد مجتمعا كاملا معدا من قبل أن يوجد الأفراد ولا نستطيع أن نغيره إذا أردنا وعلينا أن نخضع له.
- **جبرية وملزمة:** أي أنها تمتاز بقوة قاهرة هي السبب في أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الأفراد، فليس الفرد حرا في إتباع النظام الاجتماعي أو الخروج عليه.
- **عامة :** يعني وجود الظاهرة في كل مكان فهي منتشرة في معظم المجتمع.
- **خارجية:** بمعنى أنها أشياء خارجية ومستقلة تستلزم دراستها دراسة موضوعية وملاحظتها منفصلة عن الحياة الفردية.
- **معقدة:** أي لا يمكن إرجاعها لسبب واحد بل لعوامل عدة (سياسية، اقتصادية، نفسية، دينية، جغرافية،...)، مما يجعل دراستها أصعب من الظاهرة الطبيعية.

- **متداخلة ومترابطة:** أي يفسر بعضها بعضا ويؤثر بعضها في البعض، فلا يمكن دراستها منفصلة أو منفردة، فالأسرة كظاهرة اجتماعية لا يمكن دراستها بمعزل عن الظواهر الاقتصادية أو السياسية...وهكذا.

أمثلة عن الظواهر الاجتماعية التي درسها إيميل دوركايم:

أ- **ظاهرة الانتحار:**

- **تعريف الانتحار:** يعرفه دوركايم على "أنه كل حالة وفاة ناتجة عن فعل إيجابي أو سلب، يقوم به شخص يعرف تماما نتيجة هذا الفعل"، والمقصود بالفعل الإيجابي هو إطلاق النار على النفس مثلا أو شرب السم، أما السلبي فيكون بالإصرار على البقاء في منزل يحترق أو الإضراب عن الطعام .(إبراهيم، 2006، 99)

- **أنواع الانتحار:**

✓ **الانتحار الأنومي:** يظهر هذا النوع من الانتحار عندما يفشل المجتمع في السيطرة على سلوك وعلاقات أفراده ,وعندما تتفسخ الأخلاق والآداب والقيم وتضعف العادات والتقاليد وتعم الفوضى والفساد في ربوع المجتمع وهنا يفقد الفرد آماله وطموحاته وتضعف أو تنعدم عنده الرغبة في التفاعل مع الآخرين والانسجام معهم، وعندما يشعر الفرد بعدم قدرته على وضع حد لهذه الحالة المتفسخة والشاذة وعجزه عن تغيير المجتمع نحو الأحسن فانه يصاب باليأس والقنوط وانعدام الآمال والأهداف، ومثل هذه الحالة تلحق به المرض النفسي والكآبة والاشمئزاز من الحياة.

✓ **الانتحار الإيثاري:** هو ناتج عن شدة تماسك وانسجام الفرد مع جماعته وقوة علاقته الاجتماعية معها ذلك أن جماعته كما يعتقد لها أهميتها وفاعليتها في وجوده وكيانه فهو لا يستطيع العيش دون وجودها ، ويكون مستعدا لتضحية بماله ونفسه من أجل بقائها واستمرارها إذا تعرضت للخطر والتهديد وعندما تتعرض الجماعة لخطر العدوان أو التفكك فانه يقوم بالدفاع عنها بكل ما يملك من قوة وباس ،وفي أحيان كثيرة ينتهج الصيغ الانتحارية لإنقاذها ، وما العمليات الانتحارية التي قام بها الضباط اليابانيون إبان الحرب العالمية الثانية إلا نموذج لذا النوع من الانتحار.(القريشي، 2012، 344)

✓ **الانتحار القدري:** وهو نوع يشير إلى حالة التنظيم المفرط والقيود المتشددة التي تنتج الانتحار ففي نظره أن الأفراد يقدموا على وضع حد لحياتهم بسبب شعورهم بضياع مستقبلهم بلا شفقة بعدما اصطدمت مشاعرهم بعنف المعاملة القاسية ، فضلا عن الأنظمة القهرية.

✓ **الانتحار الأناني:** يظهر هذا النوع من الانتحار نتيجة لانعزال الفرد عن المجتمع لسبب ما يتعلق بالفرد نفسه أو يتعلق بالمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ويتفاعل معه ،فهذا الفرد لا يستطيع تكوين علاقة طبيعية مع المجتمع لعدم تذوقه لقوانين وعادات المجتمع وسخطه على نظامه ووضعه العام ،والمجتمع من جانبه لا يعطي المجال للفرد للتفاعل معه والانسجام مع مؤسساته البنيوية نظرا لتناقض ميوله واتجاهاته ومصالحه وأهدافه وقيمه مع تلك التي يتمسك ويؤمن بها الفرد ، لذا يشعر الفرد بالبعد والعزلة عن المجتمع، وهنا يفقد آماله وطموحه ويضيع كل شي له علاقة بالمجتمع ويفشل في تذوق ثمرة

عمله وجهوده,لذا تنعدم عنده معاني الحياة السامية ويفقد مثله وقيمه ومقاييسه بعد ذلك يصاب بمرض نفسي خطير قد يؤدي به إلى الانتحار .

- أعطى "دوركايم" **خلاصة لأسباب الانتحار بعد تحليله للظاهرة** نذكر منها:

- الزواج المبكر غالبا ما يؤدي إلى الانتحار خاصة بين صنف الرجال.
-تزداد نسبة الانتحار بين غير المتزوجين من الجنسين منها بين المتزوجين.
-تقل نسبة الانتحار بين النساء عنها بين الرجال.
- تقل نسبة الانتحار بين الأرامل الذين لديهم أطفال عنها بين من لا يوجد لديهم أطفال.
-تقل نسبة الانتحار بين الأرامل اللواتي لديهم أطفال عنها بين المتزوجات اللواتي ليس لديهن أطفال.
- تقل نسبة الانتحار في فترات الاضطراب السياسي و الحروب.

ب- الظاهرة الدينية:

عرض "دوركايم" هذه الدراسة في كتابه (الصورة الأولية للحياة الدينية) سنة 1912 ، حيث حاول تطبيق تحليله للقوى الجمعية أو الجماعية في دراسته للدين في أكثر مظاهره الأولية، حيث يقرر منذ أنه سوف يدرس أكثر الديانات المعروفة لنا بدائية وبساطة، وهي تلك التي نجدها في مجتمع لا يتجاوز أي مجتمع آخر في بساطته، فقد وقع اختياره على إحدى القبائل الاسترالية التي تسمى (الأرونتا) لكي يجري عليها دراسته المركزة من خلال بعض المصادر الثانوية. (القريشي، 2012، 344)

فرق بين ما هو (**مقدس**) وما هو (**علماني**)، فالمقدس هو كافة ا أشياء التي يحددها الإنسان ويعزلها عن غيرها نظرا لطبيعتها الخاصة مثل الطقوس والمعتقدات التي تكتسب صفة دينية، أما العلماني فهو الجانب الاجتماعي الذي يضم الحياة العامة لهذه العشيرة بتجمعاتها والتي تمارس حياتها الخاصة لقضاء احتياجاتها.

وتوصل إلى أن الديانة "التوتمية " هي أكثر صور الدين بساطة، هذه الأخيرة تتمثل في حيوان أو نبات أو شيء طبيعي يرمز إلى قوة القبيلة من جهة وإلى مبدأ توتمي مقدس من جهة أخرى.(www.pdffactory.com)

ويحقق الدين وظيفة اجتماعية، حيث هناك اعتقاد داخلي أنه هناك قوة مقدسة تحمل مجموعة من الجزاءات تطبق على كل من يحاول انتهاك المقدسات وهنا يتحقق التفاعل والتضامن الاجتماعي.

رابعا: ماكس فيبر (1864- 1920)

01- نشأته وأهم مؤلفاته

ولد "ماكس فيبر" في (إيرفيرت) بألمانيا، لأسرة بروستانتية كانوا من أشهر تجار (بيلفيلد)، وتوسعوا في تجارتهم حتى وصلوا إلى (فرانكفورت) و(مانشستر)، كان والده محاميا ورجل سياسة ، باختصار كان لأسرة برجوازية موضعا وتوجها، انتقل إلى برلين مع عائلته لإعداده كي يكون عضوا بالكنيسة البروستانتية عام 1879، وبدأ في دراسة الاقتصاد سنة 1882 تعرف على فكر آدم سميث وكارل ماركس، وبعد حصوله على الدكتوراه قام بتدريس القانون بجامعة برلين عام 1892، وعمل أستاذا للسياسة عام 1894 والاقتصاد عام 1897 سافر إلى

أوروبا وأمريكا ما بين 1899- 1904 ، ولم يحترف علم الاجتماع إلا قبيل وفاته بعامين فقط، ولم يبرز كسوسيولوجي إلا بعد وفاته.

كان مولعا بالسياسة وتمنى أن يكون زعيما سياسيا لكنه أخفق في حياته السياسية والعملية، فحاول أن يفهم مجتمعه، كما اهتم بتوضيح فضل البروستانتية في صعود الرأسمالية ، الشيء الذي عالجه في كتابه (الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية)، كما ترك مجلدا كاملا حول (الاقتصاد والمجتمع) الذي يعتبر شاملا لتصوراته حول علم الاجتماع وقضاياه، كتاب (مفاهيم أساسية في علم الاجتماع)

02- أهم الموضوعات السوسيولوجية عند ماكس فيبر

أ- الفعل الاجتماعي :

الفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع عند "ماكس فيبر" ولقد عرفه بأنه " **صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي أو الخارجي، الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، .... والفعل يصبح اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطي لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم**".

ونظرا لتحديده لعلم الاجتماع بوصفه **علما وشاملا للفعل الاجتماعي** ، اقتضاه هذا أن يبذل جهدا في **تصنيف الأفعال الإنسانية وتنميطها**، حيث كانت محاولاته هذه مسيطرة على تفكيره خاصة عندما همَّ بتفسير خصائص وأغراض المجتمع المعاصر، ووفقا لما أتى به يعد **الرشد والعقلانية** خاصية أساسية للعالم الذي نعيش فيه، وتظهر هذه الأخيرة في علاقاتها بالأهداف المحددة، فالمشروع الاقتصادي يكون رشيدا عندما تضبط الدولة بواسطة البيروقراطية ، وحتى **العلم** يعد من وجهة نظر "فيبر" مظهرا لعملية **العقلنة** التي تميز المجتمع الحديث. (**عبد المعطي، 1981، 93**)

يرى "فيبر" أن المجتمعات الحديثة تخلت عن المعتقدات التقليدية المرتكزة على الشعوذة والدين والعادات الاجتماعية، وبدأ الأفراد عوضا عن ذلك يتبنون أساليب التفكير العقلاني والترشيد التي تأخذ بالاعتبار معايير الكفاءة وتوقعات المستقبل، حيث أطلق اسم (**الترشيد العقلاني**) على تنمية العلوم وتطوير التقانة ونمو البيروقراطية، ويعني الترشيد العقلاني في هذا السياق تنظيم الحياة الاجتماعية الاقتصادية انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكزة إلى المعرفة التقنية. (**جدنز، 2001، 72**)

ويقسم "فيبر الفعل الاجتماعي" إلى ثلاث أشكال هي:

- **الفعل العقلي**: الذي له غايات محددة ووسائل واضحة، إذ أن الفاعل يضع في اعتباره الغاية والوسيلة التي يقوم بتقويمها تقويماً عقلياً، فالمهندس الذي يصمم مشروعاً معمارياً، والمضارب الذي يحسب ما

يعود عليه بسبب مضارباته والقائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر، كلها أمثلة للفعل الاجتماعي الفعلي.

- **الفعل العاطفي** : وهو سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل، والأمثلة على هذا النمط من السلوك عديدة حينما يختار المرء الوسائل على أساس صلتها بالغايات أو القيم وإنما باعتبارها تنبع من تيار العاطفة.
- **الفعل التقليدي**: وهو سلوك تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ومن ثم يعبر عن استجابات آلية اعتاد عليها الفاعل، ولا شك أن ضرباً من السلوك هذا شأنه سوف يظل دائماً على هامش الفعل الذي توجهه المعاني.

ب- النماذج المثالية:

يعتبر مفهوم (النموذج المثالي) الذي جاء به "ماكس فيبر" من **نماذج التحليل السوسيولوجي** التي استخدمها لفهم العالم، الذي يقصد به: "المجموع الكلي للمفاهيم التي ينشئها أو يبينها المتخصص في العلوم الإنسانية بصورة نقية وبعيدة عن أي تحيز لتحقيق أهداف البحث".

إلا أنه قلما توجد هذه النماذج المثالية في الواقع وربما لا توجد على الإطلاق، غير أن هذه النماذج الافتراضية قد تكون مفيدة جدا عندما نحاول فهم الأوضاع الفعلية في العالم ومقارنتها بالأنماط المثالية.(جدنز، **2001**، **71**)

ويوجد حسبه نوعين من المعاني لهذا النموذج المثالي، **الأول** وهو المعنى الموجود **واقعيا** لفاعل فرد واقعي، **والثاني** هو الذاتي الذي ندركه **نظريا** ونطلق عليه النمط المثالي، ويمكن استخدام هذا الأخير في علم الاجتماع عندما نقارن السلوك الفعلي به فيساعد ذلك في فهم ما هو قائم.

أما تنظيميا فقد اقترح مفهوم (السلطة) الذي ميز فيها بين ثلاث أنماط لها هي:

- **السلطة الكاريزمية**: المستندة إلى الإلهام والتي تنسب إلى وجود قائد وملهم له خصائص نادرة بمقتضاها يضحي قائدا أو زعيما.
- **السلطة التقليدية**: التي تستند إلى قدسية التقاليد والإيمان بخلود الماضي، وبمقتضاها ينظر الناس للنظام الاجتماعي القائم بوصفه مقدسا وغير قابل للانتهاك.
- **السلطة القانونية**: التي تستند إلى سيادة القانون التي تفترض وجود مجموعة رسمية من المعايير المستقرة نسبيا، والتي تسعى إلى تنظيم السلوك كي يكون سلوكا رشيدا.

ت- الدين والاقتصاد:

في كتابه (**الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية**) درس "فيبر" العلاقة بين الدين والاقتصاد، حيث تناول بالدراسة ديانات الصين والهند والشرق الأدنى، خاصة عندما قارن بين الأنساق الدينية لهذه المجتمعات والغرب من جهة ثانية، وخلص إلى أن جوانب من التعاليم المسيحية قد تركت أثرها على الرأسمالية، وقد قدم بذلك إسهاما حقيقيا في علم اجتماع الديني (جدنز،**2001**، **71**)

ونجد "فيبر " يوضح ماهية عناصر الديانات لمعرفة تلك الأسباب، **فالبروتستانية** تتسم بأنها تهتم بمباهج الحياة، وترى أن على الفرد أن يعيش باستمتاع وإثارة ومجازفة وتعظم قيمة المال، على عكس ما تتسم به **الكاثوليكية** كونها في رأي فيبر أكثر"انفصالاً عن العالم" وأنها تعطي لا مبالاة كبيرة إزاء ثروات العالم، وهنا يكمن التعارض بين الطائفتين.

اعتبر أن القيم الثقافية وعلى رأسها القيم الدينية هي التي أرست معالم الرأسمالية وهي التي ساهمت في تكوين الحرية الفردية التي تقوم على مبدأ المبادرة والربح وامتلاك الثروة، حيث يقول "ماكس فيبر": "فقد كانت القوى السحرية والدينية، إضافة إلى أفكار أخلاقية مبنية على أساسها، تعد من بين العناصر الأكثر أهمية في تكوين السلوك"، اعتمد "ماكس فيبر" في مقاربته للموضوع على مقاربة سوسيولوجية تعتمد المقارنة بين مجموع الطوائف الدينية التي كانت منتشرة في أوروبا ومن بينها (الكاثوليكية والبروتستانتية)، وخلص في نهاية هذا البحث إلى أن **الطائفة البروتستانتية** هي الأقرب إلى روح الرأسمالية حيث يقول في كتابه " **إذا عدنا إلى الإحصائيات المهنية في بلد تتعايش فيه طوائف دينية متعددة، نلحظ بصورة متواترة، واقعا أثار العديد من المرات نقاشات حادة في الصحف والكتابات الأدبية، والمؤتمرات الكاثوليكية في ألمانيا، يتلخص هذا الواقع في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة، وفوق ذلك الملاك التقني والتجاري ذا الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية."** (http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=289914)

خامسا: كارل ماركس (1818- 1883)

01- نشأته وأهم مؤلفاته:

ولد "كارل ماركس" في 5 ماي 1818 بمدينة (تريف) في بروسيا، وكان واحدا من بين سبعة إخوة لأبوين يهوديين، والده كان محاميا ارتبط بعصر التنوير قرأ لكانط وفولتير، فكان تأثيره على شخصية "ماركس" واضحا،حيث نشأ على الحرية وحب المعرفة، وعندما أرسله إلى المدرسة الثانوية تلقى تعليمه على يد أساتذة

ليبراليين، وفي عام 1835 التحق بجامعة "بون" ودرس التاريخ واهتم بالإنسانيات، واندمج في النشاط الطلابي، ثم انتقل إلى جامعة "برلين" سنة 1836 وفيها التقى بفلسفة (هيجل) وبدأ يقرؤها ويلم بها. **(عبد المعطي، 1981،68)**

انظم "كارل ماركس" لـ (الشبيبة الهيجلية) في 1842، والتحق كمحرر بالجريدة (الرينانية) فساعده اشتغاله بالصحافة على أن يتفتح على المجتمع ومشكلاته، هاجر إلى (باريس) موطن الحرية الفكرية والسياسية آنذاك لنشر أفكاره ومبادئه، ثم تنقل إلى بلجيكا التقى بـ "جوزيف برودون" و "فريدرك أنجلز"، شارك في النشاطات السياسية في ثورة فرنسا 1848 وانتهي به المطاف في "لندن" حيث توفي في 14 مارس 1883 .

من أهم مؤلفاته: (**البيان الشيوعي**) مع زميله "أنجلز" سنة 1848، ومجلد (**رأس المال**) سنة 1867، والعديد من المقالات مثل (**مدخل إلى نقد فلسفة هيجل في الحق**)، (**حول المسألة اليهودية**)، (**العائلة المقدسة**).

02- نظرة كارل ماركس لعلم الاجتماع:

رفض **"ماركس"** استخدام تسمية (علم الاجتماع) لارتباطها بالفلسفة الوضعية التبريرية التي روج لها "**أوجيست كونت**" لأنه في معظمه يتسم بصفة التبرير لا التفسير العلمي بالمحافظة لا النقد العلمي الاجتماعي، فضلا عن مزج التحليل السوسيولوجي بمحاكاة ومماثلة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية، ولهذا فضل تسمية العلم بـ (علم المجتمع)، وحدد **موضوعه الأساسي بدراسة المجتمع الإنساني ككل تاريخي متغير، من خلال دراسة القوانين الاجتماعية لتطور التكوينات الاجتماعية والاقتصادية**، وبحث مختلف العلاقات الداخلية لجوانب الحياة الاجتماعية، التي تأتي في مقدمتها العلاقات الإنتاجية وعلاقات الملكية، ويتحدد أيضا بالوجود الاجتماعي الموضوعي.

يرى "ماركس" أن وظائف **"علم المجتمع"** وأدواره تتركز في وظيفة علمية وأخرى مجتمعية، كل منهما تثري الأخرى وتنميها وتطورها، فمسعى البحث السوسيولوجي الماركسي هو الكشف عن القوانين العامة والقوانين النوعية للتطور الاجتماعي ، الذي يتجسد في توفير أرضية علمية للتنبؤ بالمسار الاجتماعي ويفيد في إعادة النظر فيما هو قائم وما يمكن أن يؤول إليه لو ترك على تلقائيته وما يقتضيه الأمر من تخطيط وتدخل له لتجاوز تناقضاته، سواء ما يتعلق بالاستغلال والاغتراب أو أي صورة أخرى من صور استلاب الإرادة الإنسانية المبدعة، ولهذا كان "ماركس" حريصا على تأكيد أهمية إسهام العلم والبحث في إحداث التغيير المقصود .

03- الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي:

فرق "ماركس" بين **الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي** في إسهام متميز لعلم المجتمع، ونقله من المرحلة الفلسفية إلى النظرية الاجتماعية ، وبهذا قدم إجابة سوسيولوجية للسؤال : أيهما أسبق الوجود أم الوعي؟ حيث يذهب إلى أن أسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الطابع العام للعمليات الاجتماعية لأن وعي الناس ليس هو الذي يحدد وجودهم، بل العكس يتحدد وعيهم بوجودهم الاجتماعي.

يرى "ماركس" أن الوعي يبدأ بمجرد أن يبدأ الإنسان في إنتاج وسائل العيش، تلك الوسائل التي تتحدد بداية بظروف الطبيعة وإمكانياتها، وعليه فعندما ينتج الناس هذه الوسائل يبدؤون في إنتاج حياتهم المادية والعقلية، وهذا يعني أن **الإنتاج** صورة **النشاط الإنساني**، وعليه فإن ذلك يحدد المرحلة التاريخية من تطور المجتمع،

وبخاصة ملكية وسائل الإنتاج، عندئذ تتحدد الطبقة عن طريق الملكية وعن طريق قوى الانتاج والتقسيم الاجتماعي للعمل حسب ما تسمح به المرحلة التاريخية، ويؤكد "ماركس" هذا بقوله: "دعني ألخص لك أنه كلما نما الإنتاج الرأسمالي نما تقسيم العمل واتسع استخدام الآلات، وكلما نما تقسيم العمل واستخدام الآلات اتسعت المنافسة بين العمال واتجهت أجورهم نحو الانكماش"، وتلك هي الظروف الموضوعية لنشأة الطبقة العمالية.**(عبد المعاطي، 1981، 71)**

04- المادية التاريخية والمادية الجدلية:

يتألف الفكر الماركسي من مكونين أساسيين هما: **المادية التاريخية** التي تمد حسب رواد الفكر الماركسي بإطاره الأساسي الذي يقدم لها العلم إجابة علمية على المسألة السوسيولوجية المعرفية الأساسية، وهي مسألة العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي ، هذا الوجود الذي تعده المادية التاريخية واقعا موضوعيا مستقلا عن الوعي، وعليه فإن هذه الأخيرة هي التي تشكل الإطار العلمي لعلم المجتمع الذي يدرس القوانين العامة للتطور الاجتماعي وصور حدوثها وتجسيداتها من خلال النشاط الاجتماعي التاريخي للإنسان.

أما **المادية الجدلية** فتعتبر الإطار الفلسفي العام للعلم ، إذ يعتبر "ماركس" الحقيقة الجديدة نسبية لا تلبث أن تقابل بهجوم من حقيقة مضادة هي "النقيضة" لقضيتها، ثم يتبع ذلك أن تدمر كل منهما الأخرى وهكذا دواليك...فتستمر العملية إلى ما لا نهاية بمجموعة من التأثيرات أكثر تعقيدا، حتى تتأثر القضية بنقيضتها في نوع من حرية تبادل الآراء ومن ردود الفعل ومن الاستدلالات، فالجدلية المادية ليست مباراة جدلية لفظية بل أصبحت نوعا من التحليل الوضعي للقوى خاصة في مواجهة الأفعال المتبادلة.

05- البناء الفوقي والبناء التحتي:

تعتمد منظمة المجتمع على وسائل الإنتاج وأشياء كالأراضي والموارد الطبيعية والتكنولوجيا تحديداً هامة لإنتاج السلع المادية وعلاقات الإنتاج، بعبارة أخرى العلاقات الاجتماعية التي يتشاركها الناس ليكتسبوا ويستخدموا وسائل الإنتاج هذه الأشياء معاً تؤلف طريقة الإنتاج، وقد ميز ماركس حقب تاريخية من ناحية طرق الإنتاج المختلفة، فرق بين **البناء التحتي والبناء الفوقي** فالأول يرمز إلى **النظام الاقتصادي**، بينما الثاني يرمز إلى **النظام السياسي والثقافي**، واعتبر ماركس هذا عدم تطابق بين البنية التحتية (الاقتصادية) والبنية الفوقية (الاجتماعية) كمصدر رئيسي للصراع والاضطراب الاجتماعي وعلى الرغم من تأكيد ماركس على نقد الرأسمالية ومناقشة المجتمع الشيوعي الجديد الذي ينبغي أن يحل محلها، إلا أنه دافع عن نقده الصريح للرأسمالية برؤيته كمجتمع أفضل مقارنة بسابقاته (العبودية والإقطاعية).

06- الطبقات الاجتماعية:

الطبقة الاجتماعية هي: **"مجموعة من الأشخاص في المجتمع يحدد حياتهم تمتعهم بوضع اقتصادي مشترك"**، أما وضع الفرد الذي يقوم به في عملية الإنتاج الاجتماعي فيعتمد هذا بدوره على طابع القوى الإنتاجية ودرجة نموها، ويتخذ "ماركس" من الطبقة الاجتماعية مفهوما **أساسيا للتحليل الاجتماعي**؛ تؤدي ملكية وسائل الإنتاج إلى ظهور طبقتين اجتماعيتين تعيش كل منهما في صراع مع الأخرى هما: **الطبقة البرجوازية وطبقة**

البروليتاريا (العمالية)،والعمل الذي تؤديه هذه الأخيرة يقدم فرقا كبيرا بين ثمن المنتجات وأجورها، وهذا الفرق هو المصدر العام لأرباح الرأسمالية، حيث يوضح ماركس أن تضخم الفوائد والأرباح وحرية المنافسة تؤدي إلى الاحتكار الاقتصادي، الذي بدوره يؤدي إلى المفارقات الاقتصادية وتصارع الطبقات.

07- الصراع الطبقي:

صراع الطبقات الاجتماعية هو مفهوم رئيسي في الفكر الماركسي ، التي تسعى لمُراعاة القضايا التاريخية والتوترات الاقتصادية داخل مجتمع مُنقسم إلى طبقات اجتماعية معادية، ويعتبر " كارل ماركس" و"فريدريك انجلز" هم اللذان أكدا الانتشار العالمي لهذا المفهوم، حيث يعتبرانه **محرك التغيرات الاجتماعية والتاريخ الحديث**، إذ يقول "ماركس" لا يزال يُفَسر تاريخ جميع المُجتمعات الحالية بتاريخ صراعات الطبقات."

كما يرى "ماركس" أن الرأسمالية تشكل بطبيعتها نظاما طبقيا تتميز العلاقات الطبقية فيه بالصراع، ورغم أن الرأسماليين والعمال يعتمد كل منهما على الآخر، لأن الرأسماليين يحتاجون إلى قوة العمل والعمال يحتاجون إلى الأجور، فإن هذه المعادلة تعاني خللا فادحا، فالعلاقات الطبقية في هذه الحالة تتميز بالاستغلال، لأن العمال لا يتمتعون بأي قدر من السيطرة على عملهم في الوقت الذي يقوم فيه أرباب العمل بجني الربح عن طريق تملكهم حصيلة عمل العمال، ويعتقد "ماركس" أن صراع الطبقتين حول الموارد الاقتصادية سيزداد بمرور الوقت.(جدنز، 2005، 69)

08- الدعائم المنهجية عند ماركس:

تتميز طريقة ماركس في التفكير، أي الطريقة المادية الجدلية والتاريخية بسمات جوهرية ثلاثة هي:

- أنها **مادية**، وهذا يعني الإقرار بوجود الأشياء والظواهر موضوعيا، بغض النظر عن إرادة الإنسان ووعيه بها،
- و أنها **جدلية**، بمعنى أنها تنظر إلى الأشياء والظواهر على أنها ظواهر متناقضة وفي تغير مستمر، وتخضع لنوع من الترابط والشمولية، يؤثر ويتأثر بعضها بالبعض الأخر ،
- و أنها **تاريخية**، وهذا يعني من جهة أن الوجود الموضوعي للأشياء والظواهر هو وجود تاريخي متغير، يختلف من حيث زمن وجوده، ومن جهة ثانية إن معارفنا عن الأشياء والظواهر ذات قيمة تاريخية وحسب. (**بودواهي**،http://www.ahewar.org/debat/s.asp?t=4&aid=286493)

وعليه تقوم منهجية البحث السوسيولوجي عند "كارل ماركس" على منهجين أساسيين هما: **المنهج الجدلي والمنهج التاريخي** مع عدم استبعاد أهمية الطرائق البحثية التي كانت تستخدم في زمانه كالاستبيان، حيث أنه أسهم في تطبيق صحيفة استبيان حول أوضاع العمال، وقد ساعده المنهج التاريخي على كشف القوانين العامة والنوعية للتطور الاجتماعي، كما ساعده المنهج الجدلي على التمييز في الحياة الاجتماعية بين الموضوعي والذاتي، العام والخاص، الضروري وغير الضروري، وقد ساعد هذا على إكساب علم المجتمع طابعا علميا ونوعيا في الوقت ذاته. (**عبد المعطي، 1981، 72**)

المحور الرابع: الاتجاهات الفكرية والنظريات في علم الاجتماع

01- تعريف النظرية:

ضمنت أدبيات علم الاجتماع عدة تعريفات للنظرية، وها هو "**توماس وورد**" بعدما استعرض سبعة وعشرين تعريفا يتوصل إلى تقديم تعريف للنظرية مؤداه (**هي نسق استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات و افتراضات ، تعبر عن علاقات بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة ، ويمكن أن يشتق منها فرضيات يمكن التحقق من صحتها أو خطئها**).

أما "**تالكوت بارسونز**" فيعرفها بأنها النسق النظري يشكل وحدة لمفاهيم مترابطة ومتساندة منطقيا وبنائيا ، لها مرجعية امبريقية في الواقع ، تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء إمكانية اشتقاق فرضيات جديدة، وتعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية".

ويضيف "**تيرنر**" أن النظرية عملية تطوير أفكار تسمح للعالم تفسير الأحداث. (**عثمان، 2008، 16**)

تؤدي النظرية السوسيولوجية **وظائف أساسية** هي:

- ✓ تصنيف الأحداث الواقعية وتنظيمها.
- ✓ تفسير أسباب الظواهر التي تقع والتنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل في إطار شروط معينة.
- ✓ تقديم فهم علمي شامل بالقوانين التي تحكم حركة الأحداث في الواقع الاجتماعي.

وتنقسم الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع إلى الاتجاه التقليدي المحافظ والاتجاه الراديكالي، ويندرج تحت كل اتجاه عدة نظريات نوجزها في الآتي:

02- الاتجاه التقليدي المحافظ:

أ- النظرية البنائية الوظيفية:

تمتد جذور هذه النظرية إلى كل من أوجيست كونت وهربرت سبنسر وإيميل دوركايم، الذين تأثروا بالتشابه بين الكائنات الحية والحياة الاجتماعية، وعبروا عنه بالمبدأ المسمى "المماثلة العضوية" الذي شكل الأساس الفكري والفلسفي للاتجاه البنائي الوظيفي.

لقد فهم الجسم الإنساني بوصفه "نسق" يتكون من أعضاء مترابطة ومتفاعلة، وكل عضو يؤدي وظيفة محددة وأساسية من أجل بقاء الكائن الحي أو بقاء النوع، فالأعضاء إذن عبارة عن بنيات وتركيبات تواجه متطلبات البقاء، وأي خلل يصيب أحد هذه الأعضاء سوف يؤثر على البنيات الأخرى، وانطلاقا من هذا الفهم نظر الوظيفيون للنظم الاجتماعية بوصفها مماثلة للكائنات العضوية على أساس أن تلك البنيات الاجتماعية تشبع وتحقق متطلبات بقاء المجتمع واستمراره، ويصنف هؤلاء العلماء النظم الاجتماعية رئيسية، فالنظم الاقتصادية تؤدي وظائف الإنتاج والتوزيع، والأسرة تؤدي وظيفة الإنتاج البشري والتوالد والتنشئة الاجتماعية ووراثة الوضع الاجتماعي، أما النظام السياسي فيقوم بوظيفة حماية المواطنين لتقوم النظم الدينية بوظائف

التماسك والتضامن الاجتماعي، في حين يؤدي النظام التعليمي وظيفة نقل الميراث الثقافي من جيل إلى جيل . (عودة، 91)

وتجدر الإشارة هنا إلى **المحاور الأساسية لنظرية البنائية الوظيفية** هي:

- **علاقة الفرد بالمجتمع:**

الأفراد بالنسبة للاتجاه الوظيفي هم مجرد أدوات للمجتمع وملكيات خاصة له، وفي هذا نفي لإرادة الأفراد وقدرتهم على تغيير واقعهم، ومن الواضح أن هذه المسلمة تمتد إلى فكر "إيميل دوركايم" ونزعته السوسيولوجية الواقعية، فالأفراد خاضعون إلى حد بعيد إلى الضغوط التي تفرضها مجتمعاتهم عليهم حتى يتمكنوا من الامتثال للتوقعات الاجتماعية.

- **مفهوم النسق الاجتماعي:**

وهو من المفاهيم المركزية بالنسبة للاتجاه الوظيفي، حيث يفهم هذا الاتجاه المجتمع بوصفه "نسقا" يتميز بسمات أساسية هي **التوازن** ، **التحديد** **والترابط**، فالنسق الاجتماعي هو نسق متوازن غير متصارع يتجه باستمرار نحو التوازن والتعادل، وأي قوى تهدد استقرار النسق وتوازنه تصبح موضوعا لفعل القصور الذاتي لأجزاء النسق الأخرى، أما التحديد فيعني تحديد العناصر الداخلة من تلك الخارجة عن مكونات النسق ، فإلى جانب المحافظة على التوازن ينبغي المحافظة على حدود النسق ومكوناته وأي تغيير يجب أن يتم ببطء وتدريجيا، وفيما تعلق بالترابط فيعني أن جميع عناصر النسق الاجتماعي ترتبط ببعضها البعض وأي تغير يطرأ على عنصر واحد من هذه العناصر فإن جميع العناصر الأخرى تتغير استجابة لذلك.(عودة، 93)

- **مفهوم الوظيفة:**

يذهب الوظيفيون إلى أن الوظيفة هي الطريقة التي يعمل بها المجتمع ويستمر في بقائه من خلال وظيفة النسق الاجتماعي، وعليه فإن جميع عناصر النسق الاجتماعي إما تكون وظيفية أو لا وظيفية ، والغالبية العظمى من هذه العناصر تلعب أدوارا إيجابية من أجل صيانة النسق والمحافظة على توازنه، أما العناصر اللاوظيفية فهي إما تتمثل في أدوار غير نافعة أو غير مفيدة أو أن تتمثل في نتائج سلبية وضارة.

ب- التفاعلية الرمزية:

ترتبط التفاعلية الرمزية بعلم الاجتماع الأمريكي "جورج هربرت ميد" في ثلاثينيات القرن الماضي، وتتخذ من تفاعلات الحياة الاجتماعية اليومية موضوعا لها، فالناس يتفاعلون معا طبقا لرغباتهم وإرادتهم الشخصية الصادرة عن العقل ، وهنا نجد "أرفينج كوفمان" يعتبر **الحياة الاجتماعية** شبيهة بالمسرح الذي يؤدي فيه الناس أدوار من خلال فصول مختلفة حسب مراحل حياتهم وانطباعاتهم التي يجدونها في الآخرين. (**العزاوي وآخرون، 2006، 45**)

وتستند هذه النظرية إلى مفاهيم أساسية هي:

- **الرموزوالمعاني:**

يرى "جورج ميد" أن النوع الإنساني هو الذي يستطيع تحويل تعبيرات الوجه أو الإشارات إلى رموز، والأصوات وأفعال إلى معاني، وتكتسب الرموز أهميتها وتصبح ذات دلالة حينما تكتسب نفس المعنى لدى مستقبلها نفس المعنى الذي كان في ذهن مرسلها أو صاحبها، ومن ثمة تصبح رموزا اجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، ولكي يصبح الإنسان إنسانا فإنه لابد أن يمتلك القدرة على التفكير التي هي نتيجة لسياق لغوي ، إذن الإنسانية ظاهرة اجتماعية والناس هم كائنات اجتماعية وإنسانيتهم نتاج التفاعل الاجتماعي الرمزي مع الآخرين.

- **السلوك و التوقعات:**

تتم عملية التفاعل الاجتماعي من خلال مجموعة من السلوكات بين أفراد الجماعة التي تتبعها توقعات، هذه الأخيرة هي التي تُخلق وتتطور بواسطة الآخر، فالناس من خلال التفاعل يتعلمون أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخرون منهم، ومن ثم فهم يراعون أن يكون سلوكهم مطابقا للأنماط السلوكية التي تحدث في المؤسسات والنظم الاجتماعية التي خلقوها، وهم يتعلمون أيضا أن الآخرين لديهم نفس التوقعات، ومن هنا فإن أنماط العلاقات بين الناس وجماعاتهم تشكل البنية الاجتماعية وتتجلى طبيعة المجتمع في أنه مجموع التوقعات المتبادلة والسلوك الذي يُنجز هذه التوقعات.

- **الأدواروالتفاعلات:**

الأدوار (الأب، الأم، المعلم،...) هي مجموعة التوقعات المرتبطة بسلوك أشخاص معينين، وتتشكل في ظل الثقافة الخاصة بالمجتمع في أي زمان أو مكان، وهي تعرف بما ينبغي أن يكون عليه سلوك الفرد بوصفه عضوا في جماعة معينة، وهذا ما يعرف بتوقعات الدور ، فالطفل من خلال تطوره ونموه في أسرته يتعلم كيف يتعامل مع أسرته وماذا تتوقع منه أسرته.

إذن المجتمع حسب النظرية التفاعلية الرمزية هو شبكة معقدة من الأفعال الفردية والتفاعلات بين الأفراد، وجميعها تكون منظمة ومراقبة بالعضوية الجماعية بما يترتب عليها من أدوار وتوقعات الأدوار، ويستمر المجتمع في أداء مهامه وفي البقاء بسبب التنشئة الاجتماعية للناس حتى يصبحوا قادرين على مواجهة التوقعات.

ت- النظرية التبادلية:

هي نظرية حديثة مقارنة بالنظريتين السابقتين، ويمكن أن نلخص ملامحها الأساسية في النقاط التالية:

- **الطبيعة الإنسانية:**

يتصرف الإنسان بشكل منطقي وعقلاني ، فكل إنسان يضع أمامه مجموعة من الأهداف ويحدد لنفسه أكثر الوسائل كفاءة في إطار المجتمع والحياة الاجتماعية لبلوغ هذه الأهداف، ولما كان السعي وراء تحقيق هذه الأهداف يتم في وسط اجتماعي فعليه أن يضع الآخرين بعين الاعتبار، لأنهم في الغالب يؤثرون أو ربما يتحكمون

في عملية لسعي نحو تحقيق الأهداف، وبذلك يكون الموقف ناتج عن العلاقة الأساسية المتبادلة وهذا ما يجعل السلوك اجتماعيا، ويتخذ السلوك غالبا شكل التبادل ذلك لأن المصادر الاجتماعية والنفسية موجودة لدى الآخرين ، فنحن نتبادل النقود بالسلع والعمل بالنقود، نتبادل المشاعر والعواطف على الأساس نفسه بمعنى نتبادل الدعم العاطفي والانفعالي.

ث- **طبيعة المجتمع:**

المجتمع في نهاية الأمر مجموعة أفراد ومجموعة التبادلات التي تتم بينهم، هذه التبادلات التي تتخذ بمرور الوقت شكل التنظيمات الاجتماعية المعقدة كالجيوش والجامعات والشركات والمؤسسات ، ولذلك فأن أصحاب نظرية التبادل يتجهون إلى تركيز بحوثهم في مجال التنظيمات الاجتماعية المعقدة.

ج- **وظائف المجتمع:**

إن عملية التبادل هي عملية مواءمة وتوافق ومشاركة في القيم والمعاني، والناس وفقا لهذه النظرية ينبغي أن يأخذوا من الآخرين ما يمكنهم الحصول عليه في إطار علاقة معينة، من خلال إعطاء هؤلاء الآخرين ما يطلبونه وهم قادرون على مكافأة وعقاب بعضهم البعض، وحتى يستطيعوا أن يحققوا التكيف والمواءمة فإنهم يجدون أنفسهم في مواقف اجتماعية تبادلية، تبادل السلع والخدمات والدعم العاطفي والانفعالي.

03- الاتجاه الراديكالي:

أ- النظرية الماركسية:

عرض "ماركس" رؤيته للواقع الاجتماعي في عديد مؤلفاته لعل أبرزها (البيان الشيوعي) و(رأس المال)، وسنحاول هنا إبراز الافتراضات الأساسية التي تشكل الرؤية الماركسية وهي:

ح- **الفرد والنظام الاجتماعي:**

الطبيعة الإنسانية خيرة في الأساس والظروف الاجتماعية السيئة هي التي تجعل منهم أشرارا، ويفسر ماركس هذا الموقف من خلال تمييزه بين السلوك الفردي وطبيعة العلاقات الاجتماعية ، إن العيب لا يرجع إلى الأفراد بل هو أساس كامن في النظام الاجتماعي أو البنية الاجتماعية التي تنتج الفقر وسوء التوزيع، ومن ثمة ينبغي البحث عن حلول للمشاكل الاجتماعية ليس في الأفراد وسلوكياتهم بل في النظام الاجتماعي والمجتمع نفسه.

خ- **النظام الاجتماعي المسيطر:**

لقد وجه ماركس الاتهام للمجتمع حينما تساءل كيف يتواجد القهر والظلم والفقر مع أن الطبيعة الإنسانية خيرة، وكانت الإجابة متمثلة في ضرورة التفتيش في النظام الاجتماعي ذاته، فالسبب مثلا بالنسبة للمجتمعات الرأسمالية الغربية يوجد في طبيعة النظام الاقتصادي الرأسمالي المسؤول عن إفراز الفقر وعدم المساواة.

وعليه فإن تقديم أي تحليل علمي لأي مجتمع يستحيل تقديمه بدون فهم وتحليل بنية وتنظيم العلاقات الأساسية لنظامه المركزي وهو النظام الإنتاجي أو الاقتصادي بالمعنى الواسع، وذلك لأن البنيات والعلاقات الخاصة بهذا النظام ترتبط ببقية جوانب المجتمع والحياة الاجتماعية.

د- **النظام الاجتماعي والطبقات الاجتماعية:**

إن السيطرة أو ملكية وسائل الإنتاج هي التي تحدد الوضع الاجتماعي والقوة الاجتماعية وكذا الوضع الطبقي في المجتمع، فالبناء الاجتماعي وفقا للرؤية الماركسية دائما يتحدد في مجتمع طبقي وتحديدا طبقتين اجتماعيتين أساسيتين، ففي المجتمع الرأسمالي هناك الملاَّك الرأسماليون "البرجوازية " وهناك الذين لا يملكون سوى قوة عملهم "البروليتاريا" ، وبينهما صراع طبيعي بحكم تناقض مصالحهما، فالعمال هم الذين ينتجون القيم من خلال عملهم وجهودهم، في الوقت الذي ينتزع فيه من لا يعملون "الرأسماليون" فائض القيمة، ولن يحل هذا الصراع إلا بالثورة على هذا النظام الاجتماعي الذي يقوم على الاستغلال.

ت - النظرية النقدية:

يتمثل المبدأ الأساسي للنظرية النقدية هو أن السلوك الإنساني محكوم بالطريقة التي يفكر بها الناس في الأشياء، وأفكار الناس حول حالهم تظهر من خلال التفاعل فيما بينهم، حيث يسعى كل عضو في عملية التفاعل إلى أن يعرف الأشياء بالنسبة للآخر، وتميل هذه النظرية إلى قدرة الناس على المعالجة العقلانية والمنطقية للمواقف وعلى تغيير سلوك الآخرين ، ولعل مدرسة "**فرانكفورت**" الممثل البارز لهذه النظرية التي لعبت دورا بالغ الأهمية في حركات الطلاب والشباب في ستينيات القرن الماضي في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

وتهدف النظرية النقدية حسب "هوركايمر" إلى تحقيق مهام ثلاث" :

- ✓ الكشف في كل نظرية عن **المصلحة الاجتماعية** التي ولدتها وحددتها، وهنا يتوجه "هوركايمر "، كما فعل "ماركس" إلى تحقيق الانفصال عن المثالية الألمانية، ومناقشتها في ضوء المصالح الاجتماعية التي أنتجتها.
- ✓ أن تظل هذه النظرية على وعي بكونها لا تمثل مذهبا خارج **التطور الاجتماعي التاريخي**، فهي لا تطرح نفسها باعتبارها مبدأ إطلاقيا، أو أنها تعكس أي مبدأ إطلاقي خارج صيرورة الواقع، والمقياس الوحيد الذي تلتزم به هو كونها تعكس **مصلحة الأغلبية الاجتماعية** في تنظيم علاقات الإنتاج بما يحقق تطابق العقل مع الواقع، وتطابق مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة.
- ✓ التصدي لمختلف الأشكال اللامعقولة التي حاولت المصالح الطبقية السائدة أن تلبسها للعقل، وأن تؤسس اليقين بها على اعتبار أنها هي التي تجسد العقل، في حين أن هذه الأشكال من العقلانية المزيفة ليست سوى أدوات لاستخدام العقل في تدعيم النظم الاجتماعية القائمة، وهو ما دعاه "هوركايمر " **بالعقل الأداتي**.

وعليه، فالنظرية النقدية هي التي تحقق المصلحة الاجتماعية، وتراعي التطور الاجتماعي التاريخي في إطار المادية التاريخية، وهذا يقرب النظرية النقدية من المادية الثقافية، كما تهدف هذه النظرية إلى خدمة مصالح الأغلبية، والتصدي للأشكال الشكلية والتيارات اللامعقولة التي تخدم الأنظمة الحاكمة.

ث- النظرية البنيوية :

نشأت البنيوية الماركسية من خلال معارضة الماركسية الإنسانية التي سادت العديد من الجامعات الغربية خلال 1970، وعلى النقيض من الماركسية الإنسانية، شدد "ألتوسير" على أن الماركسية كانت علما يدرس **البنى الموضوعية**، وكان يعتقد أن الماركسية الإنسانية، التاريخانية والفينومينولوجية، التي تستند إلى مؤلفات ماركس المبكرة (كتابات ماركس الشاب) تأثرت "بأيديولوجية إنسانية ما قبل علمية.

يركز رواد هذه النظرية على الطبيعة الدولية للنظام الرأسمالي، ويعرفون بأصحاب "**نظرية التبعية**" ، وهم الذين اتجهوا إلى رؤية مؤداها أن الأمم الفقيرة أو العالم الثالث هم بؤرة الثورة والتغيير، وهذه الرؤية تتطابق مع الاتجاه السياسي الذي ظهر في ستينيات القرن الماضي، الذي يعتبر بلدانا مثل كوبا ، الفتنام، الصين ، الموزنبيق و الجزائر هي أكثر البلدان تقدما في ضوء الساسة الثورية حتى وإن كانت متخلفة اقتصاديا. (عودة، 112)

كما نجد معظم البنيويين الماركسيين يؤكدون على مقولة كون علاقات الإنتاج الاجتماعي هي التي تحتم شكل المجتمع ومحتواه وتاريخه، فعلى سبيل المثال يفسر "**فريدمان**" علاقات الإنتاج باعتبارها "تلك العلاقات التي تحتم الدورة الاقتصادية لعملية الإنتاج المادي في ظل شروط تقنية وإيكولوجية معينة في مرحلة معينة من تطور القوى المنتجة". ويعدد "فريدمان" نماذج الأشياء التي تحتمها علاقات الإنتاج الاجتماعي:

- ✓ الاستفادة من البيئة في إطار الحدود التي تطرحها الإمكانيات التقنية.
- ✓ تقسيم الأدوار في عملية الإنتاج، بمعنى من يقوم / ومن لا يقوم بالعمل الجسماني.
- ✓ أشكال الاستحواذ على الفائض الاجتماعي وأشكال توزيعه وكيفية استخدام الفائض الاقتصادي.

هكذا يجادل "**فريدمان**" بأنه لا يمكن فهم أنماط التغير الاجتماعي وإدراكها إلا بإرجاع الأدوار السببية الرئيسة إلى النمو السكاني وايكولوجيا، الإنتاج الزراعي وغيرها من عناصر التقنية البيئية.(**http://www.aranthropos.com**)

حيث تجد دول العالم الثالث (التابعة) نفسها أمام دول العالم المتقدم التي تقوم باستنزاف خيراتها وطاقاتها، لا سبيل لها لاسترجاع سيطرتها واستغلالها لثرواتها سوى الثورة على هذه الأوضاع.